موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

آيات الله في الآفاق

دروس لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي

المحتويات

الباب الأول: مقدمة 6

الباب الثاني: الكون 19

2.1 الكون 20

2.3 سبع سماوات 27

2.4 الظلام في الفضاء الخارجي 32

2.5 القوى الجاذبة 35

2.6 المرصد العملاق 39

2.7 المجرات والنجوم وسرعتها 41

2.8 مواقع النجوم 46

2.9 أعداد النجوم 50

2.10 انشقاق السماء 53

2.11 النجم الثاقب 55

2.12 مدارات الكواكب 57

2.13 سرعة الضوء 60

2.14 معجزة الإسراء والمعراج 61

الباب الثالث: الشمس 63

3.1 شموس الكون 64

3.2 البعد عن الكواكب 66

3.3 الشمس والأرض 68

3.4 المسافة بيننا وبين الشمس 72

3.5 شمس الأرض 75

3.6 السنة الشمسية والسنة القمرية 79

الباب الرابع: الأرض 81

4.1 الخسوف والكسوف 82

4.2 الضغط الجوي 85

4.3 كروية الأرض 87
4.4 الأرض كفاتاً 88
4.5 استقرار الأرض 91
4.6 الأرض مهاداً 95
4.7 سرعة الأرض 98
4.8 الإعجاز اللغوي في القرآن 102
4.9 الجبال 105
4.10 معدن الفضة 110
4.11 الحديد 113
4.12 التربة 115
4.13 الرياح 120
4.14 الهواء والتربة 122
4.15 القوانين الفيزيائية والكيميائية 124
4.16 زلزال الدنيا 127
4.17 زلزال القاهرة 130
4.18 الكعبة 134
4.19 أرض العرب 135
الباب الخامس: الماء 138
5.1 الماء 139
5.2 الماء والهواء 142
5.3 خاصية الماء 145
5.4 خزائن الله 147
5.5 قانون الدفع 149
5.6 لون الصخور 152
5.7 البحر المسجور 154
5.8 البرزخ بين البحرين 155
5.9 التوافق العددي في القرآن 157

5.10 تيار الخليج البحري 160
5.11 ماء زمزم 162
الباب السادس: النبات 165
6.1 سلوك النبات 166
6.2 مهمة النبات 178
6.3 انجذاب النبات 180
6.4 معامل الورق الأخضر 182
6.5 اليخضور في النبات 187
6.6 البذور وأنواعها 189
6.7 البذور وتحملها لعوامل التعرية 196
6.8 قشرة القمح 199
6.9 الحبة السوداء 204
6.10 الزنجبيل 206
6.11 التمر 208
6.12 زيت الزيتون 213
6.13 اليقطين 215
6.14 اللفت 217
6.15 الفجل 220
6.16 الملفوف 224
6.17 الشاي الأخضر 229
6.18 الحمضيات 231
6.19 الموز 235
6.20 البقدونس 237
6.21 الخل 239
6.22 السواك 240
الباب السابع: الحيوان 241
7.1 قلب الأم 242

7.2 فوائد البيض 244
7.3 جنون البقر 246
7.4 حليب الأبقار 250
7.5 الجمل 254
7.6 الخيل 257
7.7 الزرافة 259
7.8 الخنزير 263
7.9 حيوان شبيه بالكنغر 266
7.10 الكلاب 269
7.11 العقرب 271
7.12 تحريم الدم 273
الباب الثامن: الأسماك 275
8.1 الحوت 276
8.2 السمك 278
8.3 سمك السلمون 281
8.4 السمك الهلامي 283
8.5 السمكة الطبيبة 286
8.6 جروح الأسماك 289
8.7 أسماك البحر الكهربائية 291
8.8 ثعبان الماء الكهربائي 295
الباب التاسع: الطيور 297
9.1 الطيور 298
9.2 صقر البحر 301
9.3 نقار الخشب 304
9.4 الحمام الزاجل 307
9.5 هجرة الطيور 308
الباب العاشر: الحشرات 311

10.1 دودة القز 312
10.2 النحل 317
10.3 العسل 322
10.4 النمل 324
10.5 البعوضة 326
10.6 الذبابة 329
10.7 الجراد 333
10.8 العنكبوت 335
10.9 قرون الاستشعار في الحشرات 337

الباب الأول: مقدمة

الإعجاز:

إن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وكرمه أعظم تكريم، وسخر له الكون تسخير تعريف وتفضيل، ووهبه نعمة العقل، وفطره فطرة تنزع إلى الكمال، وأودع فيه الشهوات ليرقى بها صابراً أو شاكراً إلى رب الأرض والسماوات، ومنحه حرية الإرادة ليعجل علمه ثميناً، وأنزل كتباً أحل له بها الطيبات، وحرم عليه الخبائث، كل ذلك ليعرف ربه فيعبده، ويسعد بعبادته في الدنيا والآخرة.

إنّ الحقَّ لابَسَ خلقَ السماواتِ والأرضِ، وهو الشيءُ الثابتُ والهادفُ، بخلافِ الباطلِ، فإنه الشيءُ الزائلُ والعابثُ، إنّ الحقَّ دائرةٌ تقاطعُ فيها أربعةُ خطوطٍ ؛ خطُّ النقلِ الصحيحِ، وخطُّ العقلِ الصريحِ، وخطُّ الفطرةِ السليمةِ، وخطُّ الواقعِ الموضوعيِّ، فالنقلُ الصحيحُ كلامه سبحانه وتعالى، مع بيان المعصوم عليه الصلاة والسلام، والعقلُ الصريحُ ميزانٌ من خلقِ الله أودعه اللهُ في الإنسانِ ليتعرفَ من خلالِهِ إلى الله، والفطرةُ ميزانٌ آخرُ متطابق مع الشرعِ الإلهيِّ، وهو مركوزٌ في أصلِ كيانِ الإنسانِ ليكشفَ من خلالها خطأه، والواقعُ خلقُ الله تحكمهُ القوانينُ التي قننها اللهُ جل جلاله، فإذا كانت هذه الفروعُ الأربعةُ من أصلٍ واحدٍ فهي مطابقةٌ فيما بينها.

يقومُ دين الله بشرائعهِ المتعددةِ على أصلين لا ثالث لهما، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

[الأنبياء: 25]

فالأصلُ الأولُ: معرفةُ الله موجوداً , وواحداً، وكاملاً، وهو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلا، (وهذا هو التوحيد)، والأصلُ الثاني: معرفةُ منهجه من أجلِ عبادته التي هي علةُ وجودِ الإنسانِ، وهي طاعةٌ طوعيةٌ، ممزوجةٌ بمحبةٍ قلبيةٍ، أساسها معرفةٌ يقينيةٌ، تفضي إلى سعادٍ أبديةٍ، (وهذه هي العبادةُ)... فالتوحيدُ قمةُ العلمِ، والعبادةُ قمةُ العملِ.

إن الله جل جلاله خلق الكون بسماواته وأرضه، وخلق العوالم، وعلى رأسها الإنسان وفق أنظمة بالغة الدقة، ومن أبرز هذه الأنظمة نظام السببية، وهو تلازم شيئين وجوداً وعدماً، أحدهما قبل الآخر، فنسمي الأول سبباً، ونسمي الثاني نتيجة، ومما يكمل هذا النظام الرائع أن العقل البشري يقوم على مبدإ السببية، أي أن العقل لا يفهم حدثاً من دون سبب، ومن رحمة الله بنا أن هذا النظام في الكون، وذاك المبدأ في العقل يقودنا برفق إلى معرفة الله مسبب الأسباب، الأقدام تدل على المسير، والماء يدل على الغدير، أفسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، ألا تدلان على الحكيم الخبير؟.

ومن رحمة الله بنا أيضاً أن تلازم الأسباب مع النتائج يضفي على الكون طابع الثبات، ويمهد الطريق لاكتشاف القوانين، ويعطي الأشياء خصائصها الثابتة ليسهل التعامل معها، ولو لم تكن الأسباب متلازمة مع النتائج، ولو لم تكن النتائج بقدر الأسباب لأخذ الكون طابع الفوضى والعبثية، ولتاه الإنسان في سبل المعرفة، ولم ينتفع بعقله، لكن من اعتقد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج، ثم اعتمد على الأسباب وحدها فقد أشرك لذلك يتفضل الله على هذا الإنسان الذي وقع في الشرك الخفي فيؤدبه بتعطيل فاعلية الأسباب التي اعتمد عليها، فيفاجأ بنتائج غير متوقعة، ومن ترك الأخذ بالأسباب متوكلاً . في زعمه . على الله فقد عصى، لأنه لم يعبأ بهذا النظام الذي ينتظم الكون، ولأنه طمع بغير حق أن يخرق الله له هذه السنن، أما المؤمن الصادق فيأخذ بالأسباب من دون أن يعتقد أنها تصنع النتائج، وبالتالي من دون أن يعتمد عليها، يأخذ بها، وكأنها كل شيء، ويعتمد على الله، وكأنها ليست بشيء، معتقد أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج إلا بمشيئة الله، وهذا هو التوحيد الإيجابي، الذي يغيب عن كثير من المؤمنين فضلاً عن غير المؤمنين، قال تعالى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾

[يوسف: 106]

لكن هذا النظام نظام السببية يخرق أحياناً... متى وكيف؟

حينما يأتي إنسان ويقول: إنه رسول من عند الله جاء ليبلغ منهج الله لابد من أن يطالبه الناس ببرهان، على أنه رسول الله، وعلى أن الكتاب الذي جاء به هو من عند الله، وهنا تأتي المعجزة لتكون برهاناً على صدق إرسال النبي، ومصداقية منهجه، والمعجزة في بعض تعاريفها خرق لنواميس الكون ولقوانينه، ولا يستطيعها إلا خالق الكون، لأنه هو الذي وضع القوانين، والنواميس، يعطيها لرسله لتكون برهاناً على صدقهم في إرسالهم، وصدقهم في إبلاغهم عن ربهم، والمعجزة ممكنةٌ عقلاً غير مألوفة عادةً، فهناك فرق بين أن يحكم العقل على شيء باستحالته، وأن يعلن عجزه، عن فهم هذا الشيء، فعدم العلم بالشيء لا يلزم العلم بعدمه. ولكن لا معنى للحديث عن المعجزات التي هي خرق للنواميس والعادات، عن جزئياتها، وعن وقوعها، أو توهمها، إذا كان أصل الدين الذي يتلخص في الإيمان بالله، موجوداً، وواحداً، وكاملاً، والإيمان أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وفعال لما يريد، إذا كان هذا الأصل محل إنكار أو شك فلا معنى للحديث عن المعجزات أصلاً، فالناس يخاطبون عادةً بأصول الدين، والمؤمنون يخاطبون بفروع الدين، والحديث عن المعجزات من فروع الدين، فإذا كان الأصل مهتزاً فلا جدوى من الحديث عن المعجزات.

ثم إن الكون بمجراته وكازاراته، وكواكبه ومذنباته، بالمسافات البينية، والسرعات الضوئية بحجوم النجوم، بدورانها، وتجاذبها، وإن الأرض بجبالها، ووديانها، وسهولها، وقفارها، ببحارها، وبحيراتها، بينابيعها، وأنهارها، بحيواناتها، ونباتاتها، بأسماكها، وأطيارها، بمعادنها، وثرواتها، وإن الإنسان بعقله، وعاطفته، وأعضاءه، وأجهزته،

بفطرته، وطباعه، بزواجه، وذريته، هذه كلها معجزات، وآية معجزات، وبكلام مجمل: الكون بسماواته وأرضه، هو في وضعه الراهن، من دون خرق لنواميسه من دون خروج عن نظامه، هو في حد ذاته معجزة، وأية معجزة!

والدليل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[سورة آل عمران]

غير أن الإنسان لانهماكه بمشاغله، وغفلته عن خالقه، ولطول أُلفته لما حوله ينسى وجه الإعجاز في الكون، ويغفل عن عظمة الخالق فيما خلق، فيحسب جهلاً منه، وغروراً أن المعجزة هي تكلم التي تخالف ما ألف واعتاده، ثم يمضي هذا الإنسان الجاهل فيتخذ مما ألفه واعتاده مقياساً لإيمانه بالأشياء، أو كفره بها، وهذا جهلٌ عجيبٌ في الإنسان، على الرغم من ارتقاءه في مدارج المَدَنيَّةِ والعلم، فتأمل يسيرٌ من الإنسان يوضح له بجلاء أن الخالق جل وعلا الذي خلق هذا الكون المعجزَ ليس عسيراً عليه أن يزيد فيه معجزة أخرى، أو أن يبدل، أو أن يغير في بعض أنظمته التي خلق العالم وفقها.

يقول بعض العلماء الغربيين:

((القدرة التي خلق العالم لا تعجز عن حذف شيء منه، أو إضافة شيء إليه، ولو لم يكن هذا العالم موجوداً))

ولو قيل لرجل ممن ينكر المعجزات والخوارق:

((سيوجد عالم صفته كذا وكذا، فإنه سيجيب فوراً: هذا غير معقول، ولا متصوّر، ويأتي إنكاره هذا أشد بكثير من إنكاره بعض المعجزات))

والشيء المهم هما أن نعلم أن الرسل السابقين بُعثوا لأقوامهم ليس غير، فكانت معجزاتهم حسية، محدودة بالزمان والمكان الذي بعثوا فيه، إذن معجزاتهم كتألق عود الثقاب، وقعت مرة واحدة، وأصبحت خبراً يصدقه من يصدقه، ويكذبه من يكذبه.

أما نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، الذي هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأرسل إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، فينبغي أن يكون من معجزاته ما هو مستمر، ولذلك كانت آيات الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة معجزة علمية نصية.

ففي القرآن الكريم ألفٌ وثلاثمئة آية تتحدث عن الكون، وعن خلق الإنسان، وهذه الآيات تتقرب من سدس القرآن، وإذا كانت آيات الأمر تقتضي الطاعة، وآيات النهي تقتضي الترك، فماذا تقتضي آيات الكون؟ إنها تقتضي التفكر، لذلك ورد في الأثر:

((تفكر ساعة خير من قيام ليلة))

[(1) مصنف عبن أبي شيبة من قول الحسن البصري (35223)، وشعب البيهقي قول أبي الدرداء (118)]

ولحكمة إلهية بالغة لم يفسر النبي عليه الصلاة والسلام هذه الآيات ؛ إما باجتهاد منه، أو بتوجيه من الله جلت حكمته، لأنه لو فسرها على النحو يناسب فهم من حوله لأنكر هذا التفسير من سيأتي بعده، ولو فسرها تفسيراً يفهمه من سيأتي بعده لاستغلق هذا التفسير على من حوله.

لذلك تركت هذه الآيات للعصور اللاحقة، ليكشف التقدم العلمي في كل عصر جوانب الإعجاز فيها، وبهذا يكون القرآن الكريم، بما فيه من آياتٍ كونية معجزة مستمرة إلى يوم القيامة.

العلم:

والعلم كما يرى بعض العلماء ؛ علم بالله، وعلم بأمره، علم بخلقه، أو علم بالحقيقة، وعلم بالشريعة، وعلم بالخليقة، والعلم بالله اصل الدين، والعلم بأمره أصل العبادة، والعلم بخلقه أصل في صلاح الدنيا. لقد دعا الإسلام إلى العلم بالله، من خلال التفكر في خلق السماوات والأرض، حيث تتابع الأمر به من سور القرآن، وعد الأساس الأول للبناء دعائم العقيدة والإيمان.. قال تعالى:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (5) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (6) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾

[سورة الطارق]

وقال تعالى:

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً (25) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً (26) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً (27) وَعِنَباً وَقَضْباً (28) وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً (29) وَحَدَائِقَ غُلْباً ﴾

[سورة عبس]

وقال أيضاً:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

[الغاشية الآية: 17 . 20]

وقال تعالى:

﴿ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101) ﴾

[يونس: 101]

والتفكر في خلق السماوات والأرض نوعٌ من العبادات، بل هو من أرقى العبادات، ففي صحيح ابن حبان عن عطاء عن عائشة رضي الله عنها قالت:

((... أتاني النبي عليه الصلاة والسلام في ليلتي وقال: ذريني أتعبد لربي عز وجل، فقام إلى القربة، فتوضأ، ثم قام يصلي، فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنه، حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله ما يبكيك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله تعالى في هذه الليلة: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب))

[صحيح ابن حبان (620)]

انظر إلى الشمس، وسل من رفعها ناراً، ومن نصبها مناراً، ومن ضربها ديناراً، ومن علقها في الجو ساعة، يدب عقربها إلى قيام الساعة، ومن الذي آتاها معراجها، وهداها أدراجها، وأحلها أبراجها ونقل في سماء الدنيا سراجها، الزمان هي سبب حصوله، ومن شعب فروعه وأصوله، وكتابه وفصوله، لولاها ما اتسقت أيامه، ولا انتظمت شهوره وأعوامه، ولا اختلف نوره وظلامه، ذهب الأصيل من مناجمها، والشفق يسيل من محاجمها، تحطمت القرون على قرنها، ولم يمح التقادم لمحة حسنها.

لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ ﴾

[سورة فصلت الآية: 53]

وانظر إلى القلب، في فعله وأثره، وغرضه ووطره، وقدرِه وقَدره، وحيطانه وجدره، ومنافذه وحجره، وأبوابه وستره، وكهوفه وحفره، وجدوله وغديره، وصفائه وكدره، ودأبه وسهره، وصبره وحذره، وعظيم خطره، لا يغفل ولا يغفو، ولا ينسى ولا يسهو، ولا يعثر ولا يكبو، ولا يخمد ولا يخبو، ولا يمل ولا يشكو، وهو دائبٌ صبور، بأمر الذي أحسن خلقه، وأعد له وعدته، وأقود فيه جذوته وقدر له أجله ومدته، يعمل من دون راحةٍ، ولا مراجعة ولا توجيه.

لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ ﴾

[سورة فصلت الآية: 53]

وانظر مع سيدنا علي رضي الله عنه.. (انظر إلى النملة في صغر جثتها، ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدها في مستقرها، تجمع من حرها لبردها، ومن وردها لصدرها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوسقها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان، ولو في الصفا الوابد، والحجر الجامد، ولو فكرت في مجاري أكلها، في علوها وسفلها، وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها، لرأيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا، فتعالى الله الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر).

لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾

[سورة الأنعام]

هذا عن العلم بالله، علم الحقيقة، فماذا عن العلم بأمر الله، علم الشريعة؟

إن الإنسان إذا تفكر في خلق السماوات والأرض، فعرف الله خالقاً ومربياً ومسيراً، وعرف طرفاً من أسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى، يشعر بدافع قويٍّ إلى التقرب إليه من خلال امتثال أمره، واجتناب نهيه، عندها يأتي علم الشريعة ليبين أمر الله ونهيه، في العبادات والمعاملات والأخلاق.

والشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت عليها بألفِ تأويل وتأويلٍ.

قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام البخاري في صحيحه:

((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين))

[البخاري (71)، مسلم (1037) عن معاوية]

بقي علم الخليفة، لقد دعا الإسلام إلى العلم بضائع الأشياء وخصائصها، والقوانين التي يحكم تحكم العلاقة بينها، كي نستفيد منها، تحقيقاً لتسخير الله جل وعلا الأشياء لنا.. قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾

[سورة لقمان الآية: 20]

﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾

[سورة الحديد الآية: 25]

وتعلم العلوم المادية يحقق عمارة الأرض عن طريق استخراج ثرواتها، واستثمار طاقاتها، وتذليل الصعوبات، وتوفير الحاجات تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾

[سورة هود]

وتعلم العلوم المادية، والتفوق فيها قوة، يجب أن تكون في أيدي المسلمين، ليجابهوا أعداءهم، أعداء الحق والخير والسلام، تحقيقاً لقوله تعالى:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

[سورة الأنفال الآية: 60]

ولأن قوة هذا العصر في العلم، بل إن الحرب الحديثة ليست حرباً بين ساعدين، بل هي حرب بين عقلين، فينبغي أن يكون المسلم قوياً لأن الحق الذي يحمله يحتاج إلى قوة، قد قال عليه الصلاة والسلام:

((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير))

[مسلم (2664) عن أبي هريرة]

في القرآن والسنة:

إن معجزة القرآن العلمية لتظهر لأهل العلم في كل مجال من مجالاته، فهي ظاهرة في نظمه، وفي إخباره عن الأولين، في إنبائه بحوادث المستقبل، وفي ظهور حكم التشريع وغيرها، ولقد شاع مصطلح الإعجاز العلمي في عصرنا للدلالة على أوجه الإعجاز في القرآن والسنة، والتي كشفت عنها العلوم الكونية، والمعجزة في اصطلاح العلماء: أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم من المعارضة.

وإعجاز القرآن يُقصد به تحدي القرآن الناس أن يأتوا بمثله ووصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم، الذي هو حقيقة، مقطوع بها، تطابق الواقع، عليها دليل، فإذا لم يكن مقطوعاً بها كانت وهماً، أو شكاً، أو ظناً، إذا لم تطابق الواقع كانت جهلاً، وإذا افتقرت إلى الدليل كانت تقليداً.

والإعجاز هو إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام، مما يظهر أو يؤكد صدقه فيما أخبر به عن ربه سبحانه وتعالى، والمعجزة القرآنية . بما تتضمنه من حقائق علمية . دليل على عالمية الرسالة الإسلامية. لمّا كان قبل محمد عليه الصلاة والسلام يبعثون إلى أقوامهم خاصة، ولأزمنة محدودة، فقد أيدهم الله ببينات حسية، مثل: عصا موسى عليه السلام وإحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام، وتستمر هذه البيانات الحسية محتفظة بقوة إقناعها في الزمن المحدد لرسالة كل رسول، حتى إذا تطاول الزمن، وتقادم، وتكدر نبع الرسالة الصافي، اختفت قوة الإقناع الحسية، وبعث الله رسولاً آخر بالدين الذي يرضاه، وبمعجزة جديدة، وبينة مشاهدة، ولما ختم الله النبوة بمحمد عليه الصلاة والسلام ضمن له حفظ دينه، وأيده ببينة كبرى، تبقى بين أيدي الناس إلى قيام الساعة، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾

[سورة الأنعام الآية: 19]

وقال تعالى:

﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾

[سورة النساء الآية: 166]

وفي هاتين الآيتين اللتين نزلتا رداً على تكذيب الكافرين بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام بيان لطبيعة المعجزة العلمية التي تبقى بين أيدي الناس وتجدد مع كل فتح بشري، في آفاق العلوم والمعارف، ذات الصلة بمعاني الوحي الإلهي.

وهكذا تسطع بينة الوحي المنزَّل على محمد عليه الصلاة والسلام بما نزل فيه من علم إلهي يدركه الناس في كل زمان ومكان، ويتجدد على مر العصور والدهور، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام "

((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))

[البخاري (4696)، مسلم (152) عن أبي هريرة]

قال ابن حجر عند شرحه لهذا الحديث:

((رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته، وعموم نفعه، لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون فعم نفعه من حضر، ومن غاب، ومن وجد، ومن سيوجد فحسن ترتيب ذلك... وقيل: المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه للعادة في أسلوبه، وبلاغته، وأخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه...))

[فتح الباري (9 / 7) بتصرف يسير]

ولأن القرآن معجزة مستمرة لكل الخلق إلى يوم القيامة فإن بينة القرآن العلمية يدركها العربي والأعجمي على حد سواء، وتبقى ظاهرة متجددة إلى قيام الساعة، ففي القرآن أنباء نعرف المقصود منها لأنها بلسان عربي مبين، لكن حقائقها وكيفيتها لا تتجلى إلا بعد حين قال تعالى:

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (86) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (87) ﴾

[سورة ص الآيات: 87 . 88]

وشاء الله أن يجعل لكل نبأ زمناً خاصاً يتحقق فيه، فإذا تجلى الحدث مائلاً للعيان، أشرقت المعاني التي كانت تدل عليها الحروف والألفاظ في القرآن، كما في قوله تعالى:

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة الأنعام]

ويبقى النبأ الإلهي محياً بكل الصور التي يتجدد ظهورها عبر القرون.

قال تعالى:

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[سورة النحل]

لقد نزل القرآن في عصر انتشار الجهل وشيوع الخرافة، والكهانة، والسحر، والتنجيم في العالم كله، وكان للعرب النصيب الأوفى من هذه الجاهلية والأمية كما بيّن القرآن ذلك بقوله:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

[سورة الجمعة]

في ذلك العصر، وعلى تلك الأمة نزل الوحي، وفيه علم الله ويصف أسرار الخلق في شتى الآفاق، ويجلي دقائق الخلق في النفس البشرية، ويقرر البداية في الماضي، ويصف أسرار الحاضر، ويكشف غيب المستقبل، الذي ستكون عليه ستائر المخلوقات.

عندما دخل الإنسان في عصر الاكتشاف العلمية، وامتلك أدق أجهزة البحث العلمي، وتمكن من حشد جيوش من الباحثين في شتى المجالات، يبحثون عن الأسرار المحجوبة في آفاق الأرض والسماء وفي مجالات النفس البشرية، يجمعون المقدمات، ويرصدون النتائج، في رحلة طويلة عبر القرون، ولما أخذت الصورة في الاكتمال، والحقيقة في التجلي، وقعت المفاجأة الكبرى بتجلي أنوار الوحي الإلهي الذي نزل على محمد عليه الصلاة والسلام قبل أكثر من ألف و أربعمئة عام، بذكر تلك الحقيقة في آية القرآن أو بعض أية، أو في حديث أو بعض حديث، بدقة علمية معجزة، وبعبارات مشرقة، وبهذا أنبأنا القرآن الكريم فقال:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (52) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

[فصلت: 52 . 53]

وقال أحد العلماء:

((وأما الطريق العياني فهو أن يرى العباد من الآيات الآفاقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته الرسل عن الله حقٌ))

وقال عالم آخر(1): الآفاق: تعني أقطار السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار، والرياح والأمطار والرعد، والبرق، والصواعق، والنبات والأشجار، والجبال، والبحار، وغيرها))

وروي هذا عن عدد من أئمة التفسير.

[(1) هو قول عطاء وابن وبد، كما نقل ذلك القرطبي في تفسيره (15/374)]

فهذه آيات الله في كتابه تتحدث عن آياته في مخلوقاته، وتتجلى بمعجزة علمية بينة تسطع في عصر الكشوف العلمية في آفاق الكون.

إننا على وعد من الله عز وجل، بأن يرينا آياته، فيتحقق لنا بهذه الرؤية العلم الدقيق بمعاني هذه الآيات. كما قال تعالى:

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾

[سورة النمل الآية: 93]

ومما سبق يتبين لنا أن البشرية على موعد من الله، متجدد ومستمر، بكشف آيات الكون، وفي كتابه، أمام الأبصار، لتقوم الحجة والبرهان، وتظهر المعجزة للعيان.

والفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي هو أن التفسير العلمي كشف عن معاني الآية أو الحديث، في ضوء ما ترجحت صحته من حقائق العلوم الكونية.

أما الإعجاز العلمي فهو إخبار القرآن الكريم، أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيراً، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية، في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام.

قواعد وأسس أبحاث الإعجاز العلمي:

1 . علم الله، هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ، ولا يشوبه نقص، وعلم الإنسان محدود، وقابل للازدياد ومعرض للخطأ.

2 . هناك نصوص من الوحي قطعية الدلالة، كما أن هناك حقائق علمية كونية قطعية.

3 . في الوحي نصوص ظنية في دلالتها، وفي العلم نظريات ظنية في ثبوتها.

4 . لا يمكن أن يقع صدام بين قطعي من الوحي وقطعي من العلم التجريبي، فإن وقع في الظاهر فلابد أن هناك خللاً في اعتبار قطعية أحدهما، وهذه قاعدة جلية قررها علماء المسلمين، وقد ألف غير واحد من العلماء كتاباً تؤكد حتمية توافق العقل مع النقل.

عندما يري الله عباده آية من آياته في الآفاق أو في الأنفس مصدقة لآية في كتاب، أو حديث من أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام يتضح المعنى ويكتمل التوافق، ويستقر التفسير، وتحدد دلالات ألفاظ النصوص بما كشف من حقائق علمية، وهذا هو الإعجاز.

إن نصوص الوحي قد نزلت بألفاظ جامعة، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

((بعثت بجوامع الكلم...))

[(1) البخاري (2815)، مسلم (523) عن أبي هريرة]

مما يدل على أن النصوص التي وردت عن النبي عليه الصلاة والسلام تحيط بكل المعاني الصحيحة في مواضيعها التي قد تتابعت في ظهورها جيلاً بعد جيل.

إذا وقع التعارض بين دلالةٍ قطعيةٍ للنص، ونظرية علمية رفضت هذه النظرية، لأن النص وحي من الذي أحاط بكل شيء علما وإذا وقع التوافق بينهما كان النص دليلاً على صحة تلك النظرية، وإذا كان النص ظنياً، والحقيقة العلمية قطعية يؤول النص بها، وحيث لا يوجد مجال للتوفيق فيتقدم القطعي.

منهجية أبحاث الإعجاز العلمي في ضوء منهج السلف وكلام المفسرين:

إن كلام الخالق سبحانه عن أسرار خلقه في الآفاق وفي الأنفس غيب قبل أن يرينا الله حقائق تلك الأسرار، ولا طريق لمعرفة كيفياتها وتفاصيلها قبل رؤيتها، إلا ما سمعنا عن طريق الوحي، وكان السلف لا

يتكلفون ما لا علم لهم به، إن معاني الآيات المتعلقة بالأمور الغيبية، ودلالتها اللغوية معلومة، ولكن الكيفيات والتفاصيل محجوبة، وإن من وصف حقائق الوحي الكونية بدقائقها وتفاصيلها بعد أن كشفها الله وجلاها للأعين غير من وصفها من خلال نص يسمع ولا يرى مدلوله الواقعي لأن وصف من سمع وشاهد غير من سمع فقط. ولقد وفق السلف الصالح من المفسرين كثيراً من شرحهم لمعنى الآيات القرآنية على الرغم من احتجاب حقائقها الكونية، مع أن المفسر الذي يصف حقائق وكيفيات الآيات الكونية في الآفاق والأنفس، وهي محجوبة عن الرؤية في عصره، قياساً على ما يرى من المخلوقات، في ضوء ما سمع من الوحي، يختلف عن المفسر الذي كشفت أمامه الآية الكونية، فجمع بين ما سمع من الوحي، وما شاهد في الواقع.

ونظراً لعدم خطورة ما يتقرر في مجال الأمور الكونية على أمر العقيدة يوم ذاك، لم يقف المفسرين بها عند حدود ما دلت عليه النصوص، بل حاولوا شرحها بما يسر الله لهم من الدراية التي أتيحت لهم في عصورهم، وبما فتح الله به عليهم من أفهام، وكانت تلك الجهود العظيمة التي بذلها المفسرون عبر القرون لشرح نصوص الوحي المتعلقة بالأمور الكونية . التي لم يكشف في عصرهم . مبينة لمستوى ما وصل إليه الإنسان من علم، في تلك المجالات، ومبينة لمدى توفيق الله لهؤلاء المفسرين، فإذا ما حان حين مشاهدة الحقيقة في واقعها الكوني، ظهر التوافق الجلي بين ما قرره الوحي وما شاهدته الأعين، وظهرت حدود المعارف الإنسانية المقيدة بقيود الحس المحدود، والعلم البشري المحدود بالزمان والمكان، وازداد الإعجاز تجلياً وظهوراً.

وكتب الله التوفيق للمفسرين فيما شرحوه من آيات وأحاديث متعلقة بأسرار الأرض والسماء، بفض اهتدائهم بنصوص الوحي المنزل، ممن يعلم السر في الأرض والسماء، ومسترشدين بما علمهم من دلالات الألفاظ ومعاني الآيات.

أوجه الإعجاز العلمي:

1 . التوافق الدقيق بين ما في النصوص الكتاب والسنة، وما كشفه علماء الكون من حقائق وأسرار كونية لم يكن في إمكان بشر أن يعرفها وقت نزل القرآن.

2 . تصحيح الكتاب والسنة لما شاع بين البشرية في أجيالها المختلفة من أفكار باطلة حول أسرار الخلق.

3 . إذا جمعت نصوص الكتاب والسنة الصحيحة المتعلقة بالكون وجدت بعضها يكمل الآخر، فتتجلى بها الحقيقة، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن، وفي مواضعها في الكتاب الكريم، وهذا لا يكون إلا من عند الله الذي يعلم السر في السماوات والأرض.

4 . سن التشريعات الحكيمة، التي قد تخفى حكمتها على الناس وقد نزول القرآن، وتكشفها أبحاث العلماء في شتى المجالات.

5 . عدم الصدام بين نصوص الوحي القاطعة التي تصف الكون وأسراره . على كثرتها . والحقائق العلمية المكتشفة . على وفرتها . مع وجود الصدام الكثير بين ما يقوله علماء الكون من نظريات تتبدل مع تقدم الاكتشافات، ووجود الصدام بين العلم، وما قررته سائر الأديان المحرفة والمبدلة.

ضوابط البحث في الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة:

1 . أن تراعي معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي، وأن تراعي القواعد النحوية ودلالاتها، وأن تراعي القواعد البلاغية وخصائصها، ولاسيما قاعدة:

((ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية))

2 . البعد عن التأويل من النصوص المتعلقة بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ودلالة نبوة النبي عليه الصلاة والسلام.

3 . ألا تجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل أن تجعل الحقائق هي الأصل: فما وافقها قبل، وما عارضتها رفض.

4 . ألا يفسر القرآن إلا باليقين الثابت من العلم، لا بالفروض والنظريات التي ما تزال موضع فحص وتمحيص، أما الحدسيات والظنيات فلا يجوز أن يفسر بها القرآن، لأنها عرضه للتصحيح والتعديل، بل للإبطال في أي وقت.

وإذا كان النقص يعتري بعض الدراسات في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، فلا يصح أن يكون ذلك حكماً ينسحب عليها جميعها وإن هذا ليوجب على القادرين من علماء الإسلام أن يسارعوا إلى خدمة القرآن والسنة في مجال العلوم الكونية، كما خدمها السلف في مجال اللغة، والأصول، والفقه، وغيرها من مجالات العلوم الشرعية، فنحن أمام معجزة علمية كبرى تنحني أمامها جباه المنصفين من قادة العلوم الكونية في عصرنا. والطرف الآخر من أعداء الإسلام اتخذوا من المقولات المترجلة والمتسرعة في موضوع الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة ذريعة لا تقدر بثمن . بالنسبة إليهم . لنقض آيات القرآن وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام من خلال نقض النظرية العلمية الفجة التي لم تثبت، فينبغي للباحث في الإعجاز العلمي في الكتاب والسنة أن يبالغ في التحقيق والتثبت والتريث قبل أن يربط آية في كتاب الله، أو حديثاً لرسول الله عليه الصلاة والسلام مع مقولة تتوهم أنها تنتمي إلى العلم، والعلم منا براءٌ.

ومجمل القول: إن التفسير العلمي للقرآن والسنة مرفوض إذا اعتمد على النظريات العلمية التي لم تثبت، ولم تستقر، ولم تصل إلى درجة الحقيقة العلمية المقطوع بها، ومرفوض إذا خرج بالقرآن عن قواعد اللغة العربية، ومدلولات مفرداتها في زمن النبي عليه الصلاة والسلام ومرفوض إذا صدر عن خلفية تعتمد العلم أصلاً، وتجعل القرآن تابعاً، مرفوض إذا خالف ما دل عليه القرآن في موضع آخر، أو دل عليه صحيح السنة، وهو

مرفوض ممن هب ودي من الذين لم يتحققوا في أخذهم، ولم يثبتوا في إلقائهم، وهم يزعمون أنهم على علم، والعلم منهم براءٌ ؛ وهو مقبول بعد ذلك ممن التزم القواعد المعروفة في أصول التفسير والتزم ما تفرضه حدود اللغة، وحدود الشريعة، وامتاز بالتحري، والاحتياط، والضغط الذي يلزم كل ناظر في كتاب الله، وهو مقبول ممن رزقه الله علماً بالقرآن والسنة، وعلماً بالسنن الكونية معاً، فلا بد من أن يكون النص الذي موضوع الإعجاز قطعي الثبوت والدلالة، وأن يكون الجانب العلمي مقطوعاً بصحته، وأن يكون التطابق عفوياً وتاماً، لا مفتعلاً أو متكلفاً.

أهمية أبحاث الإعجاز العلمي وثمارها:

إذا كان المعاصرون لرسول الله عليه الصلاة والسلام قد شاهدوا بأعينهم كثيراً من المعجزات، فإن الله أرى أهل هذا النصر معجزة لرسوله تتناسب مع عصرهم، ويتبين لهم بها أن القرآن حق، وتلك البينة هي بينة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وأهل عصرنا لا يذعنون لشيء كإذعانهم للعلم، على اختلاف أجناسهم وأديانهم.

لقد جعل الله النظر في ملكوت السماوات والأرض الذي تقوم عليه العلوم التجريبية طريقاً إلى الإيمان به، وطريقاً إلى الإيمان برسوله، وطريقاً إلى الإيمان بدينه الحق، الذي يدعو إلى العلم، والعلم يدعو إليه. وإن بإمكان المسلمين أن يتقدموا لتصحيح مسار العلم في العالم ووضعه في مكانه الصحيح، وجعله طريقاً إلى الإيمان بالله ورسوله ومصدقاً لما في القرآن، ودليلاً على أحقية الإسلام.

إن التفكر في خلق السماوات والأرض عبادة من أجل العبادات والتفكر في معاني الأحاديث عبادةٌ من أرفع المستويات، وتقديمها للناس دعوة خالصة إلى الله خالق الأرض والسماوات، وهذا كله متحقق في بحوث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وهذا من شأنه أيضاً أن يحفز المسلمين إلى اكتشاف أسرار الكون، بدوافع إيمانية تعبر بهم فترة التخلف التي عاشوها حقبة من الزمن في هذه المجالات، وسيجد الباحثون المسلمون في كلام الخالق عن أسرار مخلوقاته أدلة تهديهم في أثناء سيرهم في أبحاثهم، تقرب لهم النتائج، وتوفر لهم الجهود. إذا علمنا أهمية هذه الأبحاث في تقوية إيمان المؤمن، ودفع الفتن التي ألبسها الإلحاد ثوب العلم عن قول المسلمين، وفي دعوة غير المسلمين إلى هذا الدين القويم، وفي فهم ما خوطبنا به في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وفي حفز المسلمين إلى الأخذ بأسباب النهضة العلمية التي تتوافق مع الدين ؛ تبين من ذلك كله أن القيام بهذه الأبحاث من أهم فروض الكفايات (1).

[(1) بعض أفكار (مقدمة الكتاب والسنة) مقتبسة من بحث في الإنترنيت عنوانه: الإعجاز العلمي تأصيلاً ومنهجاً، للدكتور زغلول النجار]

الباب الثاني: الكون

2.1 الكون

2.2 السماء ذات الرجع

2.3 سبع سماوات

2.4 الظلام في الفضاء الخارجي

2.5 القوى الجاذبة

2.6 المرصد العملاق

2.7 المجرات والنجوم وسرعتها

2.8 مواقع النجوم

2.9 أعداد النجوم

2.10 انشقاق السماء

2.11 النجم الثاقب

2.12 مدارات الكواكب

2.13 سرعة الضوء

2.14 معجزة الإسراء والمعراج

2.1 الكون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله الله ولي الصالحين ، شهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، حب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

تمهيد:

في صحيح ابن حبان عن عطاء أن عائشة رضي الله عنها قالت: أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلتي ، وقال:

((يا عائشة ، ذريني أتعبد لربي عز وجل))

فقام إلى القربة فتوضأ منها، ثم قام يصلي، فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد حتى بلّ الأرض ، ثم اضجع على جنبه، حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح، فقال : يا رسول الله ما يبكيك، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال عليه الصلاة والسلام :

((ويحك يا بلال! وما يمنعني أن أبكي ، وقد أنزل الله علي في هذه الليلة

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾

ويل لمن قرأها ، ولم يتفكر فيها))

[صحيح ابن حبان 620]

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم:

((أمرني ربي أن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبرة))

[رواه القضاعي في مسند الشهاب 1159]

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى:

((من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ، ومن لم يكن سكوته تفكراً فهو سهو ، ومن لم يكن نظره عبرةً فهو لهو))

يقول الحق جل وعلا، الذي خلق السموات والأرض بالحق:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾

[فصلت: 53]

والحق هو القرار، والثبات ، والسمو، والعلو، ونقيضه الباطل، وهو الزوال، والزهوق، والتردي، والعبث، سنريهم آياتنا في الآفاق، فأين هي آيات الله في الآفاق؟.

آيات الله في الآفاق:

عدد النجوم في مجرتنا درب التبانة ثلاثين ملياراً

ورد أن عدد النجوم في السماء بعدد ما في الأرض من مدر وحجر، أي بعدد ذرات التراب والحجارة، فعلماء الفلك في الماضي كانوا يعدّون النجوم بالألوف، وبعد أن ارتقت كفاءة مراصدهم صاروا يعدونها بالملايين، ثم وصلوا إلى المليارات، أي ألوف الملايين، أما اليوم فإنهم يقدرون عدد النجوم في مجرتنا درب التبانة، من خلال المراصد العملاقة بثلاثين ملياراً، علماً أنّ مجرتنا مجرة متوسطة في حجمها، وهي واحدة من مئات ألوف الملايين من المجرات، التي لا يعلم عددها إلا الله، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾

[ق6]

حجوم الكواكب:

هذا عن عدد النجوم، فماذا عن حجومها؟!

إذا علمنا أن حجم الأرض يساوي مليون مليون كيلومتر مكعب، وأن الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة، وأن المسافة بينهما مئة وستة وخمسون مليون كيلومتر، وأن نجماً من النجوم في برج العقرب يتسع للأرض والشمس مع المسافة بينهما ، وأن نجماً اسمه منكب الجوزاء يزيد حجمه على حجم الشمس بمئة مليون مرة، لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾

[الذاريات: 47]

المسافات فيما بينها:

هذا عن أعدادها وأحجامها ، فماذا عن المسافات بينها ؟.

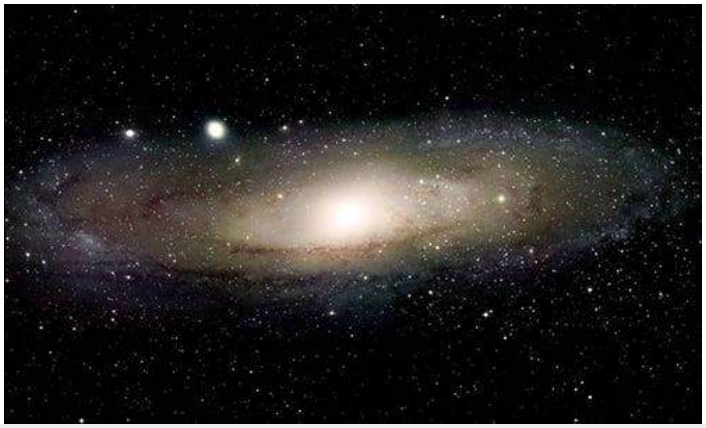

سديم المرأة المسلسلة التي تبعد عنا مليوني سنة ضوئية

إن ما بينها من مسافات تقدر بالسنين الضوئية، فالضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة آلاف كيلومتر، إذاً فهو يقطع في السنة عشرة آلاف مليار من الكيلومترات، وكيف بنا إذا علمنا أن القمر يبعد عنا ثانية ضوئية واحدة ونيفاً، وأن الشمس تبعد عنا ثماني دقائق ضوئية، وأن المجموعة الشمسية لا يزيد قطرها على ثلاث عشرة ساعة ضوئية، وأن أقرب نجم ملتهب إلى الأرض يبعد عنا أربع سنوات ضوئية؟! ولكي نعلم ماذا تعني أربع سنوات ضوئية نقول: لو اتجهنا إلى هذا النجم بمركبة تساوي سرعة مركبة القمر لاستغرقت الرحلة أكثر من مئة ألف عام، ولو ساوت سرعة هذه المركبة سرعة السيارة لاستغرقت الرحلة هذه قريباً من خمسين مليون عام !! هذا ما تعنيه أربع سنوات ضوئية !!.

فما القول في سديم المرأة المسلسلة ، التي تبعد عنا مليوني سنة ضوئية ؟ بل ما القول في مجرة اكتشفت حديثاً تبعد عنا عشرين ألف مليون من السنوات الضوئية ؟ لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾

[الواقعة:75-76]

هذا ولم نتحدث عن حركات النجوم، وسرعتها العالية، ولا عن مداراتها الواسعة، ولا عن شدتها، ولا قوة إضاءتها، ولا عن قوى التجاذب التي تربطها، ولا عن توازنها الحركي، وعلى كل فالعجز عن الإدراك إدراك، قال تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

[الزمر : 67]

2.2 السماء ذات الرجع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

ما هي الحقائق العلمية التي اكتشفت حول هذه الآية؟

أيها الأخوة الأكارم, يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 11-12]

يصف خالق الكون السماء بكلمة واحدة:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 11]

كلَّما تقدَّم العلم اكتشفت حقائق جديدة تدعم هذا الوصف الموجز, فالقمر يسير في مدارٍ حول الأرض يذهب ثم يرجع إلى مكانه الأول، والشمس تجري لمستقرٍ لها في مدارٍ حول نجمٍ أخر، وتعود إلى مكانها السابق، والمذنَّبات:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 11]

هذا المذنب . مذنَّب هالي . زار الأرض في عام ألفٍ وتسعمئةٍ واثني عشر بالضبط، وعاد إلينا في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وستةٍ وثمانين، تستغرق دورته منذ ملايين السنين ستاً وسبعين عاماً.

مذنب هالي وتكرار مروره بجانب الأرض قال تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ.

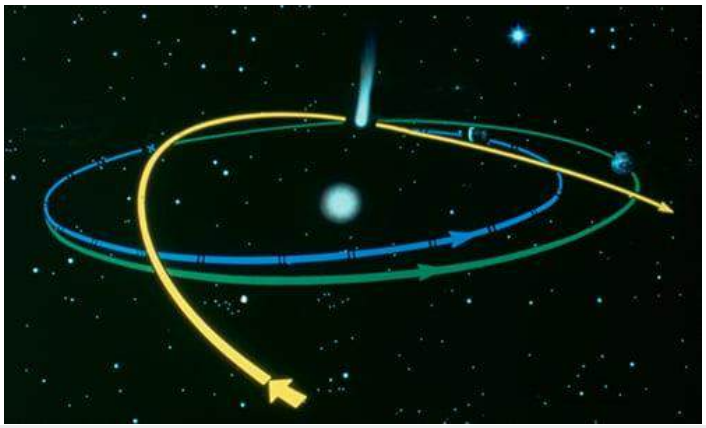

مذنب هالي وتكرار مروره بجانب الأرض قال تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ

فالأرض تدور وترجع، والقمر يدور ويرجع، والشمس تدور وترجع، والمذنَّبات ترجع، وكلٌّ ما في السماء يدور في فلكٍ بيضوي أو دائري ويرجع، إذن حينما وصف ربنا سبحانه وتعالى السماء بكلمةٍ واحدة، إنه وصف خالقها:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 11]

ثم اتجه العلماء اتجاهاً آخر، هذه الغازات التي أودعها الله في الأجواء، يستنشق الإنسان الأوكسجين، فيصبح غاز الفحم الذي يأخذه النبات، ويعيده أوكسجينا, حتى الغازات لها دورةٌ طبيعية، من أوكسجين, إلى غاز فحم، إلى أوكسجين, وإذا أرسلت إلى السماء أمواجاً كهرطيسية إنها ترجع، ويقوم البث اليوم على هذا المبدأ, كما أن إذا صعد بخار الماء إلى السماء يرجع أمطاراً, عندما يقول ربنا عزَّ وجل:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 11]

ترجع السماء بخار الماء أمطاراً، وترجع الأمواج الكهرطيسية أصواتاً، وترجع الغازات في تقلباتها إلى ما كانت عليه، وكلٌّ ما في السماء يرجع إلى مكانه الأول لأنه يدور، ويسير، ويتحرَّك في مسارٍ كروي أو بيضوي، فعندما يقول ربنا عزَّ وجل بإيجازٍ عجيب:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 11]

يعني هذا أنه قرآنٌ من عند خالق الكون، وهذا وصف الله، وصف الخالق، وصف الصانع.

كيف تتصدع الأرض؟

لو أردت تصف أن الأرض بصفةٍ شاملةٍ جامعة مانعة، لكان قوله تعالى:

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 12]

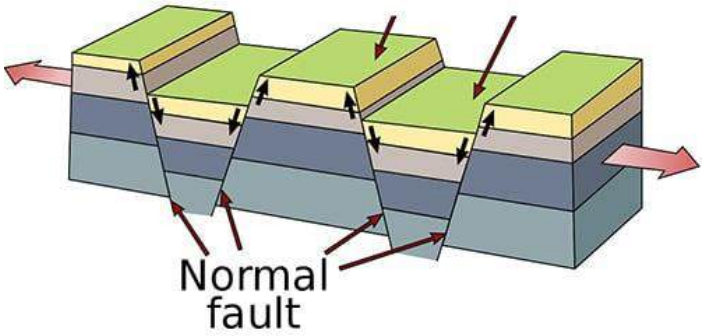

كانت القارَّات متصلة ثم تصدَّعت قال تعالى: وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ

كانت القارَّات متصلة تصدَّعت، الصخور تتصدَّع، الأحجار تتصدَّع، بل إن أدقَّ الجزئيات تتصدع، فإذا ذهبت لتصف الأرض بصفةٍ ثابتةٍ منذ أن خلقها الله, وحتى نهاية الحياة، إنها التصدُّع:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 11-12]

كيف هو الصدع؟ الأرض طبقات، أمسك بيضةً؛ هناك القشرة الكلسية، هناك القشرة الرقيقة، هناك بياض البيضة، هناك صفارها, الطبقات الخارجية أقسى هذه الطبقات، وكلَّما هبطنا نحو أعماق الأرض تصبح هذه الطبقات أقلَّ صلابةً، إلى أن تصبح لزجةً، إلى أن تصبح مائعةً مضطربة, وهذه النظرية أصبحت حقيقةً, كلما اتجهنا نحو باطن الأرض ضعفت الصلابة، وارتفعت الحرارة، أما في مركز الأرض فهو اضطراب عجيب لمائعٍ ناري, القرآن أشار إلى ذلك، قال:

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾

[سورة الملك الآية: 16]

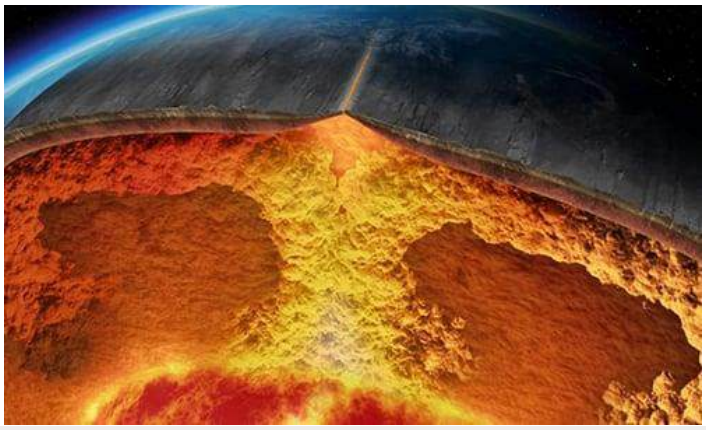

داخل الأرض مائع ملتهب قال تعالى: أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ

تمور: أي تضطرب، اضطراب المائع, أنتم تنعمون باستقرارٍ على ظهرها، أنتم تنعمون بصلابتها، بقوتها, تبني بناءً شامخاً على أساسٍ متين، ولكن لو أن هذه الأرض خسفت بكم لأصبحتم على مائعٍ ناريٍ مضطربٍ يمور, قال تعالى:

﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾

[سورة الملك الآية: 16]

من أخبر النبي عليه الصلاة والسلام وهو الأمّي، بأن في باطن هذه الأرض مائعاً نارياً مضطرباً؟ أليس هذا القرآن كلام الله عزَّ وجل؟.

يا أيها الأخوة الأكارم, إذا وقفت عند الآيات الكونية في القرآن، وجدت أنه كلَّما تقدَّمت بك الدراسات، تلتقي مع وصف الله الموجز، مع وصف الله المعجز، مع وصف الله البليغ.

2.3 سبع سماوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

إليكم هذه التفاصيل الجزئية عن طبقات السماء:

قال تعالى:

1- الطبقة السفلى:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾

[سورة الملك الآية: 3]

أيها الأخوة المؤمنون, يقول الله سبحانه وتعالى في سورة تبارك:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾

[سورة الملك الآية: 1-4]

نقف عند ثلاث كلمات, قال تعالى:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾

[سورة الملك الآية: 3]

يقول علماء الفضاء: إن الطبقة الأولى هي طبقة الهواء السفلى التي تعيش فيها الأحياء من طيور، وما شاكل ذلك، وهذه الطبقة مؤلفةٌ من عدة طبقات, وهي متقلبةٌ من حالٍ إلى حال، ومتحولةٌ من مكانٍ إلى مكان، من حالة الحر, إلى حالة البرد، إلى حالة الغيوم، إلى حالة الأمطار، إلى حالة العواصف، إلى حالة الزعازع، من حالٍ إلى حال، ومن مكانٍ إلى مكان، تنتقل هذه المنخفضات، وهذه المرتفعات من مكان إلى مكان، وانتقالها أساس التنبؤات الجوية.

هذه الطبقة السفلى أيها الأخوة المؤمنون, لا يزيد ارتفاعها عن أول الأمر عن ستة عشر كيلو متر.

2- الطبقة الكبريتية بما فيها طبقة الأوزون أيضاً:

الطبقة الثانية: هي طبقةٌ فيها جزئياتٌ غازيةٌ كبريتية، هذه الجزئيات الغازية الكبريتية تلقِّح السحاب، وتسهِّل عملية الأمطار، ولولا هذه الطبقة الكبريتية، لما هطلت الأمطار، ولما كانت الحياة على سطح الأرض.

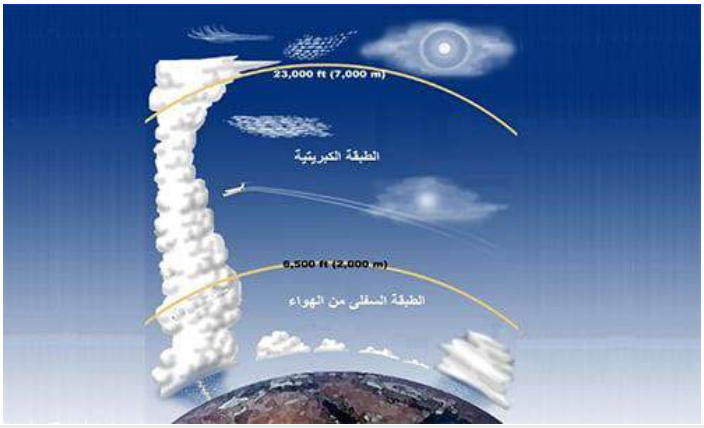

الطبقة الثانية هي الطبقة الكبريتية وهي تسهل عملية الإمطار

وفي الطبقة الثانية أيضاً: طبقة الأوزون، وهي غلافٌ من الأوكسجين الثلاثي الذي يمتصُّ الأشعة فوق البنفسجية القتَّالة، لأن هناك في الشمس أشعةٌ فوق البنفسجية قاتلة، تمتصُّ طبقة الأوزون، لا تسمح من هذه الأشعة القاتلة إلا بجزءٍ يسيرٍ يسير، يقتل الجراثيم الضارة بالكائنات الحية، فالتعرض للشمس مفيد ومطهِّر، وقد أصاب طبقة الأوزون بعض الخلل من كثرة رحلاتِ الفضاء، والأقمار الصناعية.

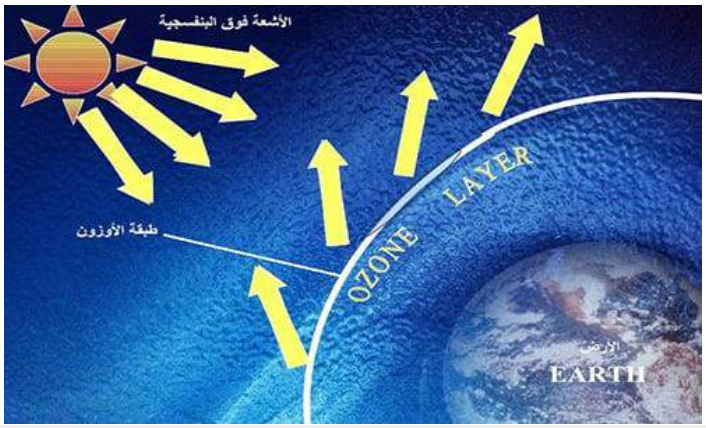

طبقة الأوزون تمنع دخول الأشعة فوق البنفسجية القاتلة

وقد سمعت أن مؤتمراً سيعقد بعد قليل للبحث في طريقة وقاية هذه الطبقة، لأن سرطانات الجلد بدأت تنتشر بأعدادٍ وبائية في بعض الدول المتقدمة التي تُكْثِرُ من إرسال سفنِ الفضاء، والأقمار الصناعية، إن طبقة الأوزون في تلك الأماكن أصابها بعض الخلل.

3- طبقة الانصهار:

أما الطبقة الثالثة: فهي تشبه فرناً ذريًّاً شديد اللهب, فيلتهب ويتشهَّب أي شيءٍ يدخل في هذه الطبقة

ولولا هذه الطبقة لكانت الأحجار الكونية، والكويكبات على الأرض، قد دمَّرت كل شيء، ولكن هذه الطبقة تصهر كل شيء؛ من نيازك، من معادن، من كويكبات، من أحجار، تصلُ إلى الأرض بفعل الجاذبية، إنها تحترق في هذه المنطقة، وتتشهب، وتصبح رماداً لا يرى إلا بالمجاهر.

4- هذه الطبقة مجالها ضيق هنا:

الطبقة الرابعة: لها تفصيلاتٌ دقيقة لا يتسع لها المقام الآن.

5- طبقة انعدام الهواء:

أما الطبقة الخامسة: فهي تمتد من ألف كيلو متر إلى خمسة وستين ألف كيلو متر

يقلُّ الهواء تدريجياً في هذه الطبقة إلى أن ينعدم.

ماذا قال العلماء عن السقف المحفوظ كما أشارت إليه الآية؟

أيها الأخوة, فطبقة الهواء المحيطة بالأرض يزيد سمكها عن خمسة وستين ألف كيلو متر نحو الأعلى.

أما الشيءُ الذي لا يصدق، هو أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾

[سورة الأنبياء الآية: 32]

سقف محفوظ، أي به تحفظ الأرض، وقال بعض العلماء الأجانب بالحرف الواحد: إن الجو الأرضي حاجزٌ حقيقي، هو حقاً قليلُ الكثافة، ولكنه سميكٌ جداً، فهو يوقف الأشعة، ويحرق الشُهُب، إنه يحمي حياتنا الدنيوية، ويحافظ عليها، لأنه لا يسمح إلا لكلِّ ما هو نافعٌ لنا بالوصول إلى سطح الأرض، وهذا مصداق قول الله عزَّ وجل:

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾

[سورة الأنبياء الآية: 32]

لا يسمح الجو الهواء للنيازك، ولا للشهب، ولا للمعادن، ولا للأحجار، ولا للكويكبات، ولا للأشعة القاتلة، كل ما يؤذي الأرض، الهواء إما أن يحرقه، وإما أن يمنعه.

من خصائص القرآن الكريم:

يا أيها الأخوة المؤمنون, حينما يقول الله عزَّ وجل:

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾

[سورة الملك الآية: 3]

هذه آيةٌ كونيةٌ عظمى، لا يعرفها إلا من علم، لهذا يقول الله عزَّ وجل:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر الآية: 28]

كل كلمة في القرآن تشير إلى علوم، وإلى تفصيلات، لو أن الإنسان أمضى حياته كلها في دراسة هذه الآيات لما انتهى.

2.4 الظلام في الفضاء الخارجي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

علام تدل هذه الحقيقة؟

يا أيها الأخوة الأكارم، عالمٌ من علماء الفلَك كان في زيارةٍ مركزٍ من مراكز إطلاق المراكب الفضائيّة في بعض الدُّوَل المتقدِّمة، وهو في زيارة هذا المركز الذي كان على اتِّصال مستمرّ بِمَركبةٍ فضائيّة كانت قد أُطلِقَت قبل قليل، إذا برائِدِ الفضاء يتَّصلُ بِمَركز انطلاق هذه المركبة ويقول بالحَرْف الواحِد: لقد أصبحْنا عُمْيًا لا نرى شيئًا، المركبةُ أُطلِقَتْ في وضَحِ النّهار، وبعد وقتٍ قليل، بعد أن تجاوَزَتْ هذه المركبة الغِلاف الجويّ، ودخلَتْ في منطقةٍ لا هواء فيها, أصبَحَ الجوّ مُظْلِمًا ظلامًا كليًّا, فصاحَ هذا الرائِدِ لقد أصبحْنا عُمْيًا لا نرى شيئًا، ما الذي حَصَل؟.

الذي حصَل أنّ أشِعَّة الشّمس إذا وصَلَتْ إلى الغِلاف الجويّ تناثَرَ ضوءها, وتشتَّتَ بين ذرّات الهواء, وذرّات الغبار، وهذا ما يُعَبِّرُ عنه علماء الفيزياء بانتثار الضّوء, أو بِتَشَتُّت الضّوء, أشِعّة الشّمس تنعكسُ على ذرات الهواء, وذرات الغبار فَتَجْعلها مُتألّقة.

لو عُدنا إلى كتاب الله الذي نزلَ قبل أربعة عشر قرنًا ونيّفًا، ووقتها ما عرفَ أهل الأرض الصّعود إلى القمر، وما عرفوا غزْوَ الفضاء بهذه العِبارة الفجّة، وما عرفوا تجاوُزَ الغِلاف الجويّ، وما عرفوا كلّ ذلك، لو عُدنا إلى كتاب الله لوَجَدنا هذه الآية فيها إعجازٌ عِلْمي قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: 14-15]

أليس هذا دليلاً قَطْعِيًّا على أنّ هذا الكلام كلامُ خالق البشر؟ قال تعالى:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾

[سورة الحجر الآية: 14-15]

من خصائص الوحي:

أيها الأخوة المؤمنون، ألَمْ أقل لكم قبل قليل: إنّ مِن خصائص الوحي إلى النبي عليه الصلاة والسلام أنَّ هذا الوَحي دليلهُ منه، تطابَق الدليل مع المدلول عليه، فالوَحْيُ الذي جاء النبي عليه الصلاة والسلام هو مِن عند الله تعالى بِظَاهِرَةٍ صارخةٍ ألا وهي الإعجاز، أيْ أنّ هذا الكلام يَعْجزُ عن معرفتِهِ الإنسان حينما نزلَ القرآن، والآن مع التقدُّم العلمي بدأ العلم يكشفُ جوانِبَ قليلة من إعجاز القرآن، يؤكّدُ هذا قول الله عز وجل:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

[سورة فصلت الآية: 53]

وهذه السِّينُ للاستقبال حتى يتبيّن للمعرضين, وللمنكرين, وللمُشَكِّكين أنَّه الحقّ، أنَّه كلامُ الله عز وجل.

نهاية المطاف:

اللهمّ اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيْت، وتولَّنا فيمن تولّيْت، وبارك اللّهم لنا فيما أعْطيت، وقنا واصْرف عنَّا شرّ ما قضَيْت, فإنَّك تقضي ولا يُقضى عليك، إنَّه لا يذلّ من واليْت, ولا يعزّ من عادَيْت، تباركْت ربّنا وتعاليْت، ولك الحمد على ما قضيْت, نستغفرك اللهمّ ونتوب إليك، اللهمّ أعنا على الصيام والقيام وغضّ البصر وحفظ اللّسان، اللهمّ هب لنا عملاً صالحًا يقرّبنا إليك، اللهمّ أعطنا ولا تحرمنا، وأكرمنا ولا تهنّا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارضَ عنَّا، وأصْلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصْلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا, وأصْلح لنا آخرتنا التي إليها مردُّنا، واجْعل الحياة زادًا لنا من كلّ خير، واجعل الموت راحةً لنا من كلّ شرّ، مولانا ربّ العالمين، اللهمّ اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمَّن سواك، اللهمّ لا تؤمنَّا مكرك، ولا تهتِك عنَّا سترَك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين، اللهمّ إنَّا نعوذ بك من عُضال الداء, ومن شماتة العداء، ومن السَّلْب بعد العطاء، يا أكرم الأكرمين، نعوذ بك من الخوف إلا منك، ومن الذلّ إلا لك، ومن الفقر إلا إليك، اللهمّ بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحقّ والدِّين, وانصر الإسلام وأعزّ المسلمين، وخُذ بيَدِ وُلاتهم إلى ما تحبّ وترضى إنَّك على ما تشاء قدير، وبالإجابة جدير.

2.5 القوى الجاذبة

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين, أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

إليكم هذه الآية:

أيها الأخوة المؤمنون, كلكم يعلم أن هذا الكون العظيم لا نهاية له, وكلما كشف العلم مجرةً بعيدةً بعيدة, تبعد عنا عشرات، بل أضعاف العشرات من آلاف ملايين السنين الضوئية، اكتشف أن هذا الكون لا نهاية له, ومع ذلك يحكمه قانونٌ واحد إنه: قانون الجاذبية، فكلُّ كتلةٍ في هذا الكون تجذب الكتلة الأخرى بقدر حجمها، وقدر المسافة فيما بينهما.

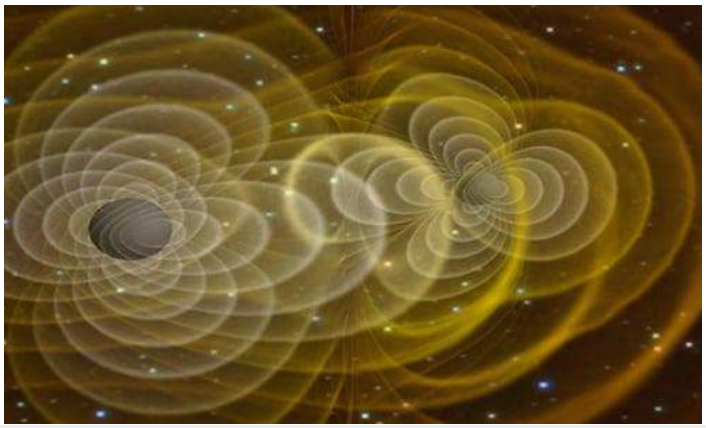

يحكم هذا الكون قانون الجاذبية بين النجوم والكواكب

لو أن هذا القانون وحده كان هو المسيطر، لا بد من أن يجتمع الكون كله في كتلةٍ واحدة، ما دامت كل كتلةٍ تجذب أختها، إذن لا بد من أن يصبح الكون كله كتلةً واحدة, ما الذي يحول بين تكتُّل الكون وبين تبعثره؟ إنها آية الجمعة السابقة, قال تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 11]

كل شيءٍ في السماء يدور، ويدور بمسارٍ إهليلجي، يدور ويرجع، هذه الحركة الدورانية المستمرة ينشأ عنها قوى نابذة، وهذه القِوى النابذة تكافئ القوى الجاذبة, ينشأ من هذه الحركة المستمرة ما يسمَّى: بالتوازن الحركي، وهذا من آيات الله الدالة على عظمته.

ما هو المقصود من هذه الآيات؟

يا أيها الأخوة الأكارم, يقول الله عزَّ وجل:

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾

[سورة الرعد الآية: 2]

هناك عمد, ولكنَّكم لا ترون هذا العمد، قال بعض العلماء: هذه إشارةٌ إلى قِوى الجذب فيما بين المجرَّات، وما بين الكواكب، وما بين الكتل.

أشار الله إلى الجاذبية الأرضية في قوله تعالى:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾

[سورة النمل الآية: 61]

الوزن هو جاذبية الأرض للأشياء

من جعل هذه الأشياء التي على سطح الأرض تستقرُّ عليها وتنجذب إليها؟ ما هو الوزن؟ الوزن في حقيقته جذب الأرض لما عليها، فالهواء منجذبٌ إلى الأرض، والبحر منجذبٌ إلى الأرض، وكل ما على الأرض منجذبٌ إليها، ولو أن الإنسان طار في الفضاء، فوصل إلى نقطة انعدام الجاذبية لانعدم وزنه, قال تعالى:

﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾

[سورة النمل الآية: 61]

تشير آيةٌ أخرى إلى هذه الجاذبية، قال تعالى:

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾

[سورة الإنشقاق الآية: 3-4]

إذا تعطَّلت الجاذبية التي في الأرض، ألقت الأرض ما فيها وتخلَّت، تبعثر ما فيها، خرج منها، خرج ولم يعد.

إليكم محور هذه الفقرة:

أيها الأخوة الأكارم, آية اليوم التي هي محور هذه الكلمة القصيرة: قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

[سورة فاطر الآية: 41]

زوال الشمس عن كبد السماء، انحرافها، يقول الله عزَّ وجل:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 11]

كل كوكبٍ في الكون يدور حول كوكبٍ آخر، وله مسارٌ كرويٌ أو إهليلجي، ويرجع إلى مكان انطلاقه, فعل من أن يكون هذا الكوكب على هذا المسار بشكلٍ دقيق؟ لو أن الأرض خرجت عن مسارها لانجذبت إلى كوكبٍ آخر، فانتهت الأرض, من الذي يجعل حركة هذه الكواكب على خط سيرها تماماً, كما لو أن القطار خرج عن سكَّته فتدهور؟ أن يبقى القطار على سكته، وأن تبقى المركَبة على الطريق، وأن تبقى الأرض في مسارها حول الشمس، هذا من تقدير عزيزٍ حكيم، ربنا عزَّ وجل يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

[سورة فاطر الآية: 41]

أي أن تخرج عن مسارها، قلت لكم في الخطبة السابقة: مذنَّب هالي زار الأرض، في عام ألفٍ وتسعمئة واثني عشر، وزارها ثانيةً في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وستةٍ وثمانين، هذا المذنب منذ آلاف آلاف السنين له مسارٌ لا يحيدُ عنه.

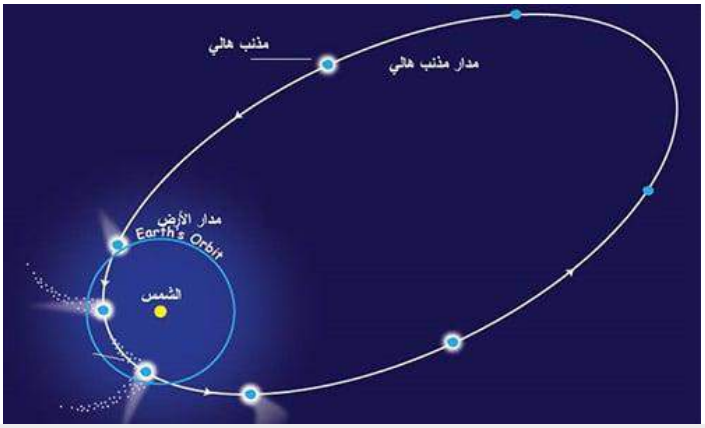

المذنب هالي له مسار لا يحيد عنه

ولا يتخلَّف عن وقته، لا يحيدُ عن مساره، ولا يتأخَّرُ عن وصوله، من جعله في هذا المسار, وفي هذه السرعة الدقيقة؟ هذا المذنب, وبقية المذنبات، الأرض والمجموعة الشمسية, قال تعالى:

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾

[سورة يس الآية: 38]

كل الكون يسير في مساراتٍ لا يحيدُ عنها أبداً بقدرة قادر، إن الله هو وحده خالق الكون:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾

[سورة فاطر الآية: 41]

هل تستطيع قِوى الأرض كلها أن تعيد انحراف الأرض إذا خرجت عن مسارها, أو أن تعيد انحراف الشمس إذا خرجت عن مسارها؟

أيها الأخوة المؤمنون, هذه آيةٌ كبرى تدلُّ على عظمة الله عزَّ وجل.

2.6 المرصد العملاق

بسم اللـه الرحمـن الرحيـم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين, أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

إليكم مضمون هذا الخبر الذي ضجت به أخبار العالم :

نقلت إحدى محطات الأخبار العالمية قبل أيام الخبر التالي: أرسلت مركبةٌ فضائية، تحمل مرصداً عملاقاً، قطر عدسته ثمانية أمتار، هذه المركبة، أرسلت قبل أربع سنوات، ويغلب على ظني، أن سرعتها تزيد على أربعين ألف ميل في الساعة، مضى على انطلاقها من الأرض، أربع سنوات، وفيها مرصدٌ عملاق، من أجل أن يكتشف خبايا الكون وأسراره، لعلّه اقترب من المشتري، وقد التقط قبل يومين، صورة مجرةٍ جديدةٍ اكتشفت حديثاً .

أنا قلت قبل أيام: أن أبعد مجرةٍ اكتشفت، بعدها عنا, أربعةً وعشرين ألف مليون سنة ضوئية، وكلُّكم يعلم أن أقرب نجمٍ ملتهبٍ يبعد عنا، أربع سنوات ضوئية، ولو أردت أن تعرف, ماذا تعني أربعة سنوات ضوئية؟ لو أردت أن تصل إلى هذا النجم الذي يبعد عنا أربع سنوات ضوئية، بمركبةٍ أرضية، تحتاج إلى خمسين مليون عام.

الخبر الذي أذيع قبل أيام من إحدى محطات الأخبار العالمية، عن تلك المركبة الفضائية، التي انطلقت قبل أربع سنوات، بسرعة أربعين ألف ميل في الساعة، والتي يظنُّ أنها قرب المشتري، أرسلت قبل أيام، صورةٍ لمجرةٍ تبعد عنا ثلاثمئة ألف بليون سنة ضوئية, والبليون ألف مليون, وهذه المجرة، كانت في هذا الموقع، قبل ثلاثمئة ألف بليون سنة، ثم تحوَّلت إلى موقعٍ آخر، لأن سرعتها تزيد عن مئتين وأربعين ألف كيلو متر في الثانية، أين هي الآن؟ دققوا في قوله تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

هذا الإله العظيم، الذي خلق هذا الكون العظيم، أيعصى؟ أينصرف الإنسان عن أمره ونهيه, لا يعبأ بوعده ووعيده, يرجو غيره, يخاف غيره, يسعى لإرضاء غيره؟!, قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

ثلاثمئة ألف بليون سنةٍ ضوئية، تبعد عنا هذه المجرة، التي اكتشفت قبل يومين .

أهمية طلب العلم:

أيها الأخوة, إذا علمتم أن الضوء يقطع في الثانية الواحدة، ثلاثمئة ألف كيلو متر، كم قطع الضوء من أول هذه الخطبة حتى الآن؟ في الدقيقة ضرب ستين، في الساعة ضرب ستين ، في السنة ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين، وفي اليوم ضرب أربعة وعشرين, قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75]

لذلك قال الله العظيم جلَّ جلاله:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر الآية: 28]

إذا أردت أن تعرف الله فاطلب العلم, رتبة العلم أعلى الرتب, العلم لا يعطيك بعضه، إلا إذا أعطيته كلَّك.

حضور خطبة الجمعة، جيدٌ جداً، وهي فريضةٌ لا شكَّ فيها، ولكن لا يكفي أن تستمع من أسبوعٍ إلى أسبوع كلاماً يلقى في ساعةٍ إلا قليلاً، لا بدَّ من حضور مجالس العلم، لا بدَّ من أن تعرف كتاب الله على ماذا ينطوي؟ أن تعرف أمره ونهيه، أن تعرف وعده ووعيده، أن تعرف حلاله وحرامه، لا بدَّ من أن تعرف سنة رسول الله، لا بدَّ من أن تعرف سيرة رسول الله، لا بدَّ من أن تعتقد العقيدة الصحيحة، لماذا أنت في الدنيا؟ أين كنت, ولماذا، وإلى أين ؟.

أيها الأخوة الكرام, طلب العلم فرض عين على كل مسلم, لا تقل: أنا لست مختصاً بشؤون الدين، أن أعمل في الحقل الفلاني، هذا كلامٌ لا يقبل، طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلم.

2.7 المجرات والنجوم وسرعتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

إليكم هذه الموسوعة في الفضاء الخارجي:

أيها الأخوة المؤمنون, نسمع كثيراً كلمة المجرات، ونقرأ عنها الشيء الكثير، ولكن الحقائق التي اكتشفت حديثاً، تكادّ بعظمتها لا تصدق . قالوا: المجرات جُزُرٌ كونيةٌ هائلة، تشكل وحدات الكون الأساسية، فالمجرات غبارٌ كوني، وسُدمٌ، ونجومٌ، وكواكبٌ، ومذنَّباتٌ، ونيازك، وشهب، ومجالاتٌ مغناطيسيةٌ كهربيةٌ عنيفة، كلُّ هذا في المجرة الواحدة .

والشيء الغريب، أن أكبر مرصدٍ على وجه الأرض، رصد ألف مليون مجرة، بينما لا نرى بالعين المجردة إلا ثلاث مجرات، إذا نظرنا إلى قبة السماء نرى درب التبَّان، ومجرة مجلان الصُغرى والكبرى، بينما رصدت المراصد الكبيرة ما يزيد عن ألف مليون مجرة؛ بل إن تقديرات العلماء، أن في السماء مليون مليون مجرة، وفي كل مجرة بالرقم الوَسَطيّ، ما يزيد عن ثلاثمئة ألف مليون نجم في كل مجرة، لذلك حينما قال ربنا سبحانه وتعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

إليكم هذه المسافات الزمنية التي تقطعها الكواكب فيما بينها بالنسبة للمجرة :

لتوضيح هذه المجرة، لنأخذ على ذلك درب التبان، مجرتنا التي نحن جزءٌ صغيرٌ منها، يزيد طولها عن مئة وخمسين ألف سنة ضوئية.

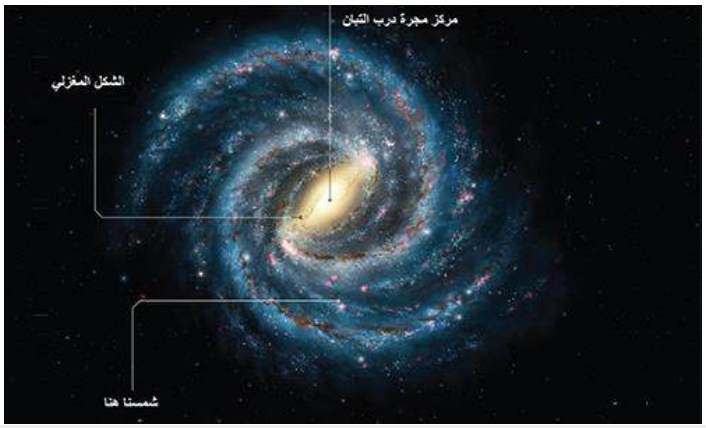

طول درب التبان 150 ألف سنة ضوئية وشكلها كالمغزل

بينما نبعد عن القمر ثانيةً ضوئيةً واحدة ، نبعد عن الشمس ثماني دقائق، لا تزيد المجموعة الشمسية من أقصاها إلى أقصاها عن ثلاثة عشرة ساعةً ضوئية، أما طول مجرتنا، مئة وخمسين ألف سنة ضوئية، وشكلها كالمغزل .

الشيء الغريب، أن هذه المجرات تدور حول نقطة موهومةٌ في الفضاء الخارجي، تدور حول هذه النقطة بسرعاتٍ لا تصدق، إنها تدور بسرعاتٍ تعادل ثمانية أعشار سرعة الضوء، والضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر .

تدور المجموعة الشمسية على سبيل المثال حول نقطةٍ في مجرتنا، تستغرق دورتها حول هذه النقطة، مئتين وخمسين مليون سنة، وسرعتها تزيد عن سبعة أعشار سرعة الضوء.

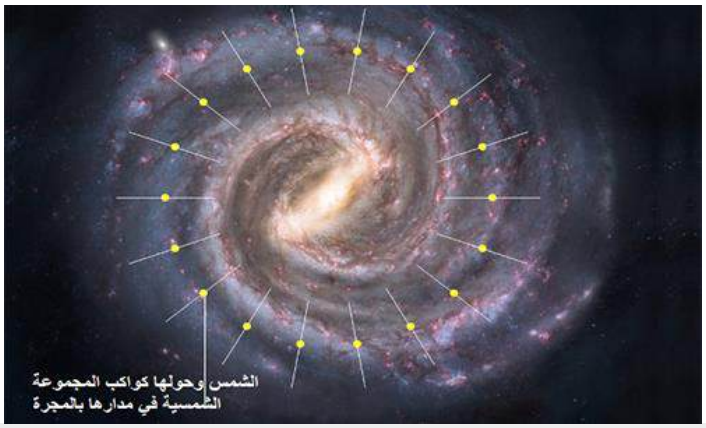

تدور مجموعتنا الشمسية حول نقطة في مجرتنا وتستغرق كل دورة 250 مليون سنة

أيها الأخوة المؤمنون, الأرقام الفلكية، السرعات الفلكية، الأعداد الفلكية، المسافات الفلكية، شيءٌ لا يستطيع هذا العقل أن يتصوره.

تدور الأرض حول نفسها بسرعة ألف وستمئة كيلو متر في الساعة، والأرض تدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلو متر في الثانية، والشمس تجري لمستقرٍ لها بسرعة مئتين كيلو متر في الثانية، والمجرة بسرعة مئتين وأربعمئة ألف كيلو متر في الثانية، سبعة أمثال الضوء، ومع ذلك تحتاج الشمس إلى مئتين وخمسين مليون سنة من أجل أن تدور حول نقطةٍ في المجرة، يقول الله عزَّ وجل:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾

[سورة الغاشية الآية: 17-20]

النتيجة التي ترصدها العلماء من هذا الانفجار الذي حدث في قلب المجرة:

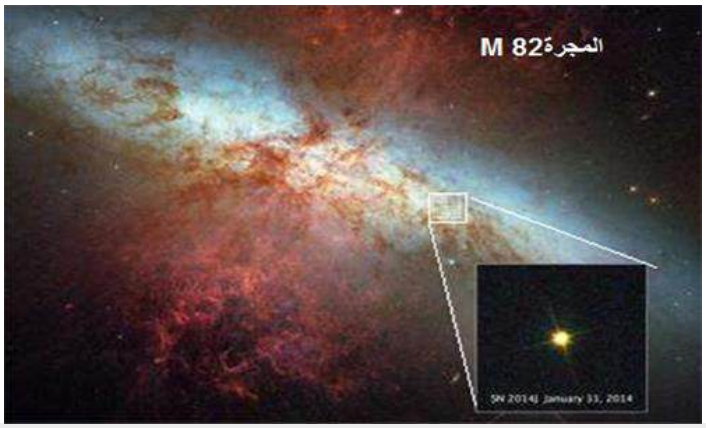

انفجر نجم في المجرة M 82 قوته التدميرية تعدل 200 بليون بليون قنبلة هيدروجينية

حصل انفجار قبل وقتٌ من الزمن في قلب المجرة، مجرة لها رقم اثنين وثمانين (M 82)، امتدت ألسنة اللهب مئة وأربعين ألف مليون مليون كيلو متر لهذا الانفجار، وقد شعَّت من هذا الانفجار طاقة تدميرية، تعادل ألفين بليون بليون قنبلة هيدروجينية.

إذا قرأت في أسماء الله الحسنى القوي، أي انفجار في بعض المجرات، هذا الانفجار يساوي ألفين بليون بليون قنبلة هيدروجينية، مع أن هذه القنبلة الواحدة كافية لتدمير أكبر مدينة على وجه الأرض، ألفين بليون بليون.

الخاتمة:

أيها الأخوة المؤمنون, إنما يخشى الله من عباده العلماء:

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر الآية: 28]

كلما اتسعت معرفتك بالكون ازدادت خشيتك، نحن على وجه الأرض، كوكبٌ صغيرٌ ، الأرض حول الشمس تدور، والشمس حول نجمٍ في المجرة تدور، والمجرة حول نقطةٍ وهميةٍ في الفضاء تدور، وكلٌ يدور, قال تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 11]

أي أن كل جرمٍ في السماء يدور دورةً إهليليجيةً، بحيث يرجع إلى مكان انطلاقه, فكروا في خلق السموات والأرض, قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران الآية: 190-191]

2.8 مواقع النجوم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين, أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

ما هي المعاني التي تلتف حول موضوع مواقع النجوم؟

1- المسافة الشاسعة بين هذه المواقع:

أيها الأخوة الأكارم, في القرآن الكريم آية, هي قوله تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

ما مواقع النجوم؟ لهذه المواقع معانٍ ثلاث: المعنى الأول؛ أن بين النجوم مسافاتٍ يستحيل على العقل تصورها، بعض هذه المسافات ثمانية عشر ألف مليون سنة ضوئية بين الأرض وبين مجرة المرأة المسلسلة.

يسير الضوء في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، كم يسير في الدقيقة؟ هذا العدد الكبير ثلاثمئة ألف مضروب بستين، كم يسير في الساعة؟ كم يسير في اليوم؟ كم يسير في الشهر؟ كم يسير في السنة؟ قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

أيها الأخوة, بين الأرض والقمر ثانية ضوئية واحدة، أي ثلاثمئة وستين ألف كيلو متر بين الأرض, والشمس ثمانية دقائق، أي مئة وستة وخمسين مليون كيلو متر.

طول المجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة، طول درب التبان مئة وخمسين ألف سنة ضوئية, قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

2- تعدد هذه المواقع:

المعنى الثاني؛ هو أن هذه النجوم ليس لها موقعٌ واحد بل لها مواقع، إذاً: هذه النجوم متحركة، كل شيءٍ يسبح في فلكٍ خاصٍ به, قال تعالى:

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة يس الآية: 40]

تدور الأرض حول الشمس في ثلاثمئةٍ وخمسةٍ وستين يوماً، بينما نجمٌ آخر في المجموعة الشمسية، يدور حول الشمس في سنتين أو ثلاثة، وبعضها في أقل من سنة، كل نجمٍ له مواقعه الخاصة، له مدارٌ طويلٌ أو قصيرٌ، له شكلٌ دائريٌ أو إهليلجي بحسب الدقة التامة, قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

كل نجمٍ له موقعٌ في كل ثانية، وتضبط أدق ساعات العالم، تضبط على بعض النجوم، قد يجد صانعوها أنها تأخرت أو قدمت في العام ثانيةً واحدة، ما الذي يضبطها؟ مرور نجمٍ لا يتقدم ولا يتأخر عن موعده الدقيق، فهذه المواقع وفق نظامٍ مدهش، المواقع جمع موقع، في كل ثانيةٍ للنجم موقعٌ جديد. المذنب، الذي نحن بانتظار رؤيته، يقطع مساره في ستة وسبعين عاماً، رآه الناس في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وعشر، ونراه نحن في عام ألفٍ وتسعمئةٍ وستةٍ وثمانين، وكان قد رؤي قبل الميلاد بألفي عام, هذه مواقع النجوم.

3- تنوع الكتل في هذه المواقع:

وأما المعنى الثالث، بين النجوم تجاذب، الكتلة الأكبر تجذب الكتلة الأصغر، وعاملٌ آخر، هو مربع المسافة بينهما، لو أن مواقع النجوم تغيرت، لاختل توازن الكون، ولارتطمت النجوم بعضها ببعض، وأصبح الكون كتلةً واحدة، هذه المواقع مدروسةٌ بعنايةٍ فائقة بحيث يكون محصلها دورانٌ واستقرار. المعنى الأول؛ المسافات الشاسعة، والمعنى الثاني؛ حركي، تنقل النجم من موقعٍ إلى آخر، والمعنى الثالث؛ أن هذه الكتل بعضها كبير، بعضها صغير، بعضها قريب، بعضها بعيد، وضعت هذه النجوم المتفاوتة في الأحجام، والمتفاوتة في الأبعاد في أماكن دقيقة، بحيث لو تجاذبت لكان محصلة ذلك النظام البديع الذي نراه بأعيننا.

ما معنى أن تزول في هذه الآية؟

أيها الأخوة, قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾

[سورة فاطر الآية: 41]

ما معنى أن تزول؟ لا أن تفنى، أي أن تخرج عن مسارها إذا اقتربت الأرض من الشمس، زادت من سرعتها، لئلا تنجذب إلى الشمس، هذه السرعة الزائدة تعطيها قوة نابذة، تكافئ القوة الجاذبة فتبقى في مسارها, قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

فكروا في هذه الآية، دققوا، ابحثوا، تأمَّلوا، تصوَّروا، تعرَّفوا إلى الله, قال تعالى:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾

[سورة الذاريات الآية: 20]

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة يونس الآية: 101]

ما معنى القرآن قطعي الثبوت قطعي الدلالة؟

أيها الأخوة, في السموات والأرض آيات لا تنتهي، ولا تقف عند حد، في السموات والأرض أدلةٌ ليست مقنعة، ولكنها قاطعة، والدليل القاطع أبلغ من الدليل المقنع، يقولون القرآن قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، إذا قال الله سبحانه تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

[سورة النور الآية: 30]

هذه الآية، لو خالفها الإنسان لشقي، قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، إذا قال الله عز وجل:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

[سورة الأحزاب الآية: 33]

أيها الأخوة, لا يصلح المجتمع بالاختلاط, فالقرآن قطعي الثبوت، قطعي الدلالة.

2.9 أعداد النجوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الإحصاءات الأخيرة التي توصل بها العلماء في عدد النجوم:

أيها الأخوة المؤمنون, تحدثنا في الخطبة السابقة عن مواقع النجوم، وكيف أن هناك مجراتٍ تبعد عن الأرض ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية؟ وأن الله سبحانه وتعالى, قال:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

يا أيها الأخوة المؤمنون, كان علماء الفلك فيما مضى يعدّون النجوم بالألوف، وبعد حقبةٍ من الزمن أصبحوا يعدّونها بالملايين، وقبل سنواتٍ عديدة أصبح العلماء يعدُّونها بالمليارات، وفي تقديرٍ مبدئي عدَّ العلماء نجوم مجرتنا . مجرة درب التبان وهي مجرةٌ متوسطة. ثلاثين مليار نجم في درب التبأّن التي نحن فيها، والمجموعة الشمسية أحد نجومها.

وفي مجرةٍ أخرى، وصل العلماء في عدِّهم لهذه النجوم إلى رقمٍ خيالي، مليون مليون نجم، والتقدير الحديث أنه تم اكتشاف مليون مليون مجرة، وفي كل مجرةٍ رقمٌ تقديري قد يصل إلى مليون مليون نجم:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية: 47]

ارتفع الرقم الذي أحصاه العلماء إلى خمسمئة ألف، ثم أصبح العدد مليون، وصار العدد الأخير مليون مليون، فما أعظم ما في السماء، والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾

[سورة الذاريات الآية: 47]

انظروا فلعلكم تعرفون الله عزَّ وجل، ولعلكم إذا عرفتموه استقمتم على أمره، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر الآية: 28]

إليكم ما اكتشفه العلماء عن الشمس:

أيها الأخوة الأكارم, كان يظن إلى أمدٍ قريب أن في السماء نجوماً متحركة، ونجوماً ثابتة، ومعنى أنها ثابتة، أي لها مواقع ثابتة لا تتغيَّر ولا تتبدَّل مع كرِّ الدهور والعصور، وكانوا يعدُّون الشمس من هذه النجوم الثابتة، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

[سورة يس الآية: 38]

ثم اكتشف أخيراً أن الشمس ومجموعتها تدور حول كوكبٍ في الفضاء بسرعةٍ تزيد عن مئتي كيلو متر في الثانية الواحدة.

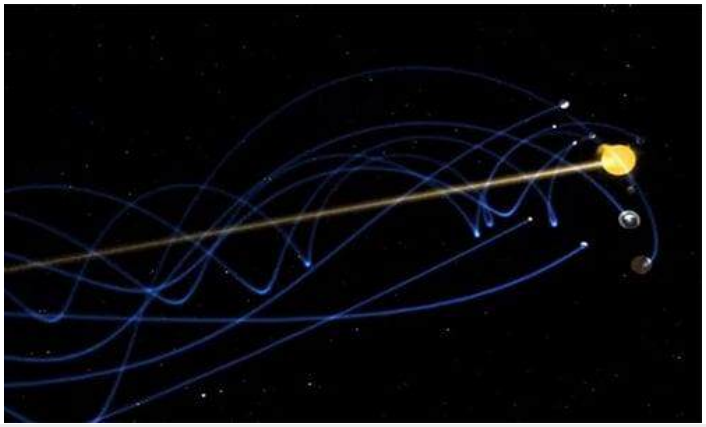

الشمس مع مجموعة الكواكب تدور حول محور في الفضاء

سرعة الأرض حول الشمس ثلاثين كيلو متر في الثانية، والشمس تقطع مئتي كيلو متر في الثانية الواحدة، وتستغرق الشمس في دورتها ملايين السنين.

يا أيها الأخوة المؤمنون, وصل العلماء إلى أرقامٍ خيالية في سرعة بعض المجرات, إن بعض المجرات تقطع في الثانية الواحدة مئتين وأربعين ألف كيلومتر، أي بسرعةٍ قريبةٍ من سرعة الضوء، فما هو هذا الكون الواسع المترامي؟ الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء, وهو على كل شيءٍ وكيل.

أيها الأخوة المؤمنون, يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة يس الآية: 40]

أي أن أيُ نجمٍ مهما صغر، ومهما كبر، له فلكٌ يسبح فيه, قال تعالى:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة يس الآية: 40]

يا أيها الأخوة المؤمنون, القرآن الكريم كلام الله رب العالمين، وهذا الكون خلقه، ولا بد من انسجامٍ تامٍ بين خلقه وبين هذا الكتاب، يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

[سورة الأنعام الآية: 1]

وفي آيةٌ أخرى:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾

[سورة الكهف الآية: 1]

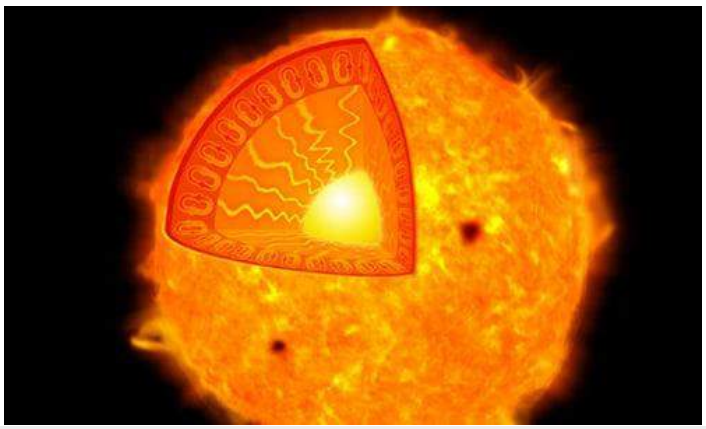

حرارة الشمس على سطحها 6000 درجة وفي نواتها 20 مليون درجة

أيها الأخوة المؤمنون, حرارة سطح الشمس ستة آلاف درجة، وفي نواتها عشرين مليون درجة، ولها قوة إضاءةٍ تقدَّر بوحداتٍ إضائية، لكن الذي يحيِّر العقول أن هناك شموساً تزيد في إضاءتها عن الشمس بستٍ وعشرين مرة، وهناك نجوم تزيد إضاءتها عن إضاءة الشمس بمئة مرة، وهناك نجوم تزيد إضاءتها عن إضاءة الشمس بخمس مئة ألف مرة، فما شمسنا إلا شمسٌ متواضعةٌ متوسطة بين شموسٍ كثيرة.

المرتبة التي حازها العلماء عند الله:

يا أيها الأخوة المؤمنون, هذا كله مصداق قول الله عزَّ وجل:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

[سورة فصلت الآية: 53]

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر الآية: 28]

العلماء وحدهم ولا أحد سواهم يخشون الله عزَّ وجل.

2.10 انشقاق السماء

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مقدمة البحث:

أخوتي المؤمنين، أعزائي المستمعين, إلى الموضوع العلمي: يوقن الباحث في العلم ويشعر المتأمّل في الكون، حينما يقرأ آيات القرآن المتعلّقة بخلْق الأكوان والإنسان، يوقن ويشعر بكلّ خليّة في جسمه، وبكلّ قطرةٍ في دمه، أنّ هذا القرآن كلام الله المنزّل على نبيّه محمّد رسول الله، وأنّه مستحيلٌ، وألف ألف مستحيل أن يأتيَ به بشرٌ فرادى أو مجتمعين، فمن خلال المؤتمرات العالميّة التي عُقِدَت في عواصم متعدّدة في أنحاء العالم حول الإعجاز العلمي في الكتاب والسنّة، يتَّضِحُ أنّ أبحاثًا علميّة جادّة ورصينة، قام بها علماء ليسوا مسلمين، ولا تعنيهم آيات القرآن الكريم، استغرقَتْ عشر سنوات، وكلَّفتْ ملايين الدولارات، تأتي نتائجُ بحوثهم مطابقة مطابقة عفويَّة وتامّة من دون تكلّف، ولا تعنّت، ومن دون تأويلٍ بعيد عن الآية أو تعديلٍ مفتعلٍ لحقيقة، تأتي نتائج بحوثهم تلك مطابقة لآية أو لكلمة في آية، بل لحرفٍ واحدٍ في آية, وهذا مصداق قوله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾

[سورة فصلت الآية: 53]

إليكم ما اكتشفه العلماء عام 1990:

أيها الأخوة, ففي الواحد والثلاثين من تشرين الأوّل من عام ألفٍ وتسعمئة وتسعين, عرضَت إحدى أقوى وكالات الفضاء في العالم من خلال مرصَدٍ عملاق عبر موقعها المعلوماتي, صورةً لا يشكّ الناظر إليها لحظةً: أنّها وردة جوريّة ذات أوراق حمراء قانية، مُحاطةٌ بِوُرَيقاتٍ خضراء زاهية, وفي الوسد كأس أزرق اللّون، أما حقيقة هذه الصورة، فهي صورة لانفجار نجمٍ عملاق اسمه: عين القِطّ، يبعدُ عنّا ثلاثة آلاف سنة ضوئيّة، وفي هذا الموقع المعلوماتي آلاف الصّوَر الملوّنة التي رفضتها المراصد العملاقة لِعَجائب الفضاء، ولكن ما علاقة هذه الصورة بإعجاز القرآن؟ في القرآن الكريم آيةٌ في سورة الرحمن، وهي قوله تعالى:

﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾

[سورة الرحمن الآية: 37]

لو تتبَّعْت أيها المستمع الكريم, تفسير هذه الآية في معظم التفاسير قبل نشْر الصورة، ما تجدُ فيها ما يُشفي غليلك، ذلك لأنّ في القرآن آياتٌ لمّا تفسَّر بعدُ، كما قال الإمام عليّ كرّم وجهه، إنّ انشقاق هذا النّجم يُشبه ورْدةً متألّقة، بل إنّ صورة هذا النجم عند انفجاره هو تفسير هذه الآية بشكلٍ أو بآخر، هذا لونٌ من ألوان الإعجاز.

بعض النجوم تبعد عنّا عشرين مليار من السنوات الضوئيّة, أي أنّ ضوءها بقيَ يسير في الفضاء الكوني عشرين مليار سنةٍ حتى وصل إلينا، علمًا أنّ الضوء يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، فكم يقطع في السّنة؟ وكم يقطع في عشرين مليار سنة؟ فهذا النّجم الذي وصل إلينا ضوؤُه بعد عشرين مليار سنة أين هو الآن؟ إنّه يسير بسُرعةٍ تقتربُ من سرعة الضّوء, لذلك جاءتْ الآية الكريم:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

إنّ كلمة مواقع في هذه الآية هي سرّ إعجازها، فالموقع لا يعني أنّ صاحب الموقع موجود فيه، فالله جلّ جلاله لم يقسم بالمسافات التي بين النجوم، ولكنّه أقْسَم بالمسافات التي بين مواقع النجوم، ذلك لأنّ النجوم متحرّكة وليْسَت ثابتة، ولو قرأ عالم الفلك هذه الآية لخرَّ ساجدًا لله عز وجل، فقد قال الله عز وجل:

﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 76]

أي أنّ العلماء وحدهم يقدّرون عظمة هذه الآية، قال تعالى:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

[سورة فاطر الآية: 28]

2.11 النجم الثاقب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

إليكم تفسير هاتين الآيتين:

أيها الأخوة الكرام, من سور القرآن الكريم القصيرة, قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾

[سورة الطارق الآية: 1 . 4]

ثم إن هناك آية كريمة:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾

[سورة النجم الآية: 1]

الحقيقة؛ أن علماء التفسير وقفوا وقفات متأنية عند تفسير: النجم الثاقب, حتى استقر رأيهم أن هذا النجم ضوءه شديد ثاقب، يخترق طبقات الجو، وصلوا إلى هنا ولم يتحدثوا إطلاقاً عن كلمة الطارق، وقد قلت لكم أن في القرآن آيات كونية لم يفسرها النبي عليه الصلاة والسلام لحكمة بالغةٍ بالغة، لو فسرها تفسيراً قريباً من بيئته لأنكرنا عليه, ولو فسرها تفسيراً عميقاً من رؤيته لأنكر عليه أصحابه، تركت هذه الآيات ليكشفها العلم.

أيها الأخوة الكرام, (والنجم إذا هوى) غير الشهاب الذي يسقط، هذا ذكره الله عز وجل في آيات كثيرة, قال تعالى:

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾

[سورة الصافات الآية: 10]

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾

[سورة الجن الآية: 8]

إذاً: (السماء والطارق, وما أدراك ما الطارق؟ النجم الثاقب), فالنجم الطارق والنجم الثاقب، والنجم إذا هوى، لا علاقة لهذه الآيات بالشهب المتساقطة، والتي نراها رأي العين كل يوم.

أيها الأخوة الكرام, الموضوع معقد جداً لكن على سبيل التبسيط؛ النجوم حينما تكبر تنكمش, وتزول الفراغات البينية بين ذراتها، إلى أن تصبح بحجم صغير جداً, ووزن ثقيل جداً، فقال: كرة ككرة القدم من هذه النجوم النيترونية المنكمشة, يعدل وزنها خمسين ألف بليون من الأطنان، فإذا وضعت هذه الكرة على الأرض ثقبتها ووصلت إلى طرفها الآخر، كما لو تأتي بقطن أو بسائل هلامي تضع به كرة حديد، هذه تسقط إلى الأسفل فوراً, هذا هو النجم الثاقب، لو أن الأرض شاخت سوف تصبح بحجم البيضة، بالوزن نفسه، وزن الأرض هو هو يصبح بحجم بيضة, هذا هو النجم الثاقب كم يرى بعض العلماء؟ القرآن حمال أوجه.

أيها الأخوة الكرام, ثم إن هناك تلسكوبات لاسلكية تلقت ومضات لاسلكية من هذه النجوم نبضات نوبية, وكأن هذا النجم يطرق باب الفضاء، نبضات نوبية يتزايد تواترها بشباب، ويقل تواترها في شيخوخته، ونعرف من هذه النبضات التي تأتي عن طريق التلسكوبات اللاسلكية نعرف عمر هذا النجم من تواتر النبضات، فنجم يطرق، ونجم يثقب، وهذا شيء من أحدث البحوث الفلكية.

أيها الأخوة الكرام, قال تعالى: (والسماء والطارق، وما أدراك ما الطارق؟ النجم الثاقب –جواب القسم– إن كل نفس لما عليها حافظ) كل حركاتك, وسكناتك، وكل أقوالك, وأفعالك، وكل تمنياتك، وكل بواعثك، وكل آمالك, وكل ما أخفيته عن الناس هو يحفظه الله لك، وسيحاسبك عنه، لأن الذي خلق النجم الثاقب، والنجم الطارق، والنجم إذا هوى، هو الذي سيحاسبك على عملك.

2.12 مدارات الكواكب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين, أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

كيف نفسر معنى هاتين الآيتين؟

أيها الأخوة المؤمنون, في سورة يس, آيةٌ كونية، وهي قوله تعالى:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة يس الآية: 40]

هذه الآية، على ظاهرها، أن للشمس مداراً، وللقمر مداراً، ومدار الشمس لا يتصل بمدار القمر، ولن تصطدم الشمس بالقمر، بل كل في فلك يسبحون، يؤيّد هذا المعنى، قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾

[سورة فاطر الآية: 41]

أن تزول، بمعنى تنحرف، والزوال في وقت الظهيرة، انحراف الشمس عن كبد السماء, فهم من هذه الآية، أن كل كوكبٍ في الفضاء، له مدارٌ يدور فيه، حتى إن بعضهم، حينما تلا قوله تعالى:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾

[سورة الطارق الآية: 11]

رأى أن هذه الآية، فيها أدقُّ وصفٍ للسماء، ما من كوكبٍ أو نجمٍ في السماء إلا وله مدارٌ يدور فيه، ويعود إلى ما كان بعد حين.

هل يمكن أن يخرج مذنب هالي عن مساره , وما دليل ذلك؟

فهذا المذنَّب، الذي يرصده الناس كلَّ يوم، والذي كما يقول العلماء: سوف يظهر بعد أسابيع في الأفق الجنوبي، مذنَّب هالي، يدور في مدار منذ أن خلق الله السموات والأرض لا يحيد عنه قيد أنمُله، يصل إلى نقطةٍ تقترب من الأرض، ثلاثمئة مليون كيلو متر، له ذيلٌ يزيد طوله عن ثلاثٍ وتسعين مليون كيلو متر, ويخاف الناس أن يبقى في سيره مستقيماً فيصطدم بالأرض.

أما الآية الكريمة: (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) يعني بقاء هذا المذنَّب في مداره، ملايين السنين، بقاء الأرض في مدارها، ملايين السنين، بقاء الشمس في مدارها، بقاء القمر في مداره، هذا بحدِّ ذاته آية, قال تعالى:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[سورة يس الآية: 40]

هل يجري على كواكب الكون متغيرات عشوائية بأن يسبق كل واحد الآخر, وما الدليل؟

كلُّ كوكبٌ له مدار، لا يزيد، لا ينقص، لا يسرع، لا يبطئ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر, ولا الليل سابق النهار، يعني الشمس، لن ترتطم بالقمر، ودورة الأرض حول نفسها ثابتة، طول الليل لا يتغيَّر؛ يعني التقاويم بعد مئة عام، يقال لك: في يوم سبعة عشر نيسان مثلاً، تشرق الشمس الساعة السادسة ودقيقتين، ما معنى ذلك؟ ولا الليل سابق النهار، دورة الأرض ثابتة حول نفسها، وحول الشمس ثابتة، وكل في فلك يسبحون, لكن علماء الذرة، دهشوا من هذه الآية:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ﴾

[سورة يس الآية: 40]

على من تعود (كلٌ)؟ قال: هذه الآية تعود على كل شيءٍ خلقه الله عزَّ وجل.

هذا المنبر الذي أقف عليه، فيه ذراتٌ، نترونات، وإليكترونات تدور حول نفسها، نظام الذرة كنظام المجرة.

قطعة المعدن هذه، كلٌّ شيءٍ تقع عليه عينك، مؤلّفٌ من جزيئات، والجزيء، مؤلَّفٌ من ذرات، والذرة، مؤلَّفةٌ من نواة، ومن كهارب لها مدارات، ولها سرعاتٌ ثابتة، هذه الآية التي تشير إلى الذرة: (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر, ولا الليل سابق النهار) يعني كل شيءٍ خلقه الله في فلك يسبحون.

ذرات الصخر، حجر، قطعة خشب، كأس الماء، لوح البللور، الطاولة، كلُّ شيءٍ تقع عينك عليه، إنما هو جسمٌ مؤلّفٌ من جزيئات، والجزيء من ذرات، والذرة من نواة، ومن كهارب.

2.13 سرعة الضوء

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5)﴾

[سورة السجدة]

القرآن يخاطب أناساً يعتمدون السَنة القمريةَ، فالقمر يدور حول الأرض كلَّ شهر دورةً، فلو قِسنا بُعدَ مركزِه عن مركزِ الأرض أي نصفَ قطرِ الدائرةِ التي هي مسارُ القمرِ حولَ الأرضِ، وحسبْنا محيطَ هذه الدائرة بعد معرفةِ نصفِ قُطرِها، لعرفنا كمْ من الكيلو مترات يقطع القمرُ في دورته حولَ الأرض كلَّ شهر، لو أخذنا طولَ محيطِ هذه الدائرة، وضربناه باثني عشر شهراً، لعرفنا كم يقطعُ القمرُ من الكيلومترات في رحلته حول الأرض في عامٍ، هذه الكيلو مترات التي يقطعها القمرُ في رحلته حول الأرض في العام، لو ضربناها بألف، لعرفنا كم يقطع القمر في رحلته حول الأرض في ألفِ عام، هذا الرقم يساوي المسافةَ مقدرةً بالكيلو مترات التي يقطعها القمر في رحلته حول الأرضِ في ألف عام

﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾

فما يقطعه القمر في ألفِ عام، يقطعه الضوءُ في يوم، بدليل أننا لو قسمنا ما يقطعه القمر في رحلته حول الأرض في ألف عام وهي المسافة على ثواني اليوم، وهي اربعةٌ وعشرون ساعةٌ ضرب ستينْ ضرب ستين وهي الزمن، لو قسمنا المسافة على الزمن لظهر معنا الرقم التالي وهو مئتانْ وتسعٌ وتسعونَ ألفاً وسبعُمئةٍ واثنانِ وتسعونَ كيلومترٍ ونصفْ وهذه النتيجة تتفقُ تماماً مع سرعة الضوءْ المعلنةِ دولياً طبقاً لبيان المؤتمر الدولي المنعقدِ في باريسَ وسرعةُ الضوء هي أهمُّ قانون عرفتهُ البشرية في القرن العشرينْ وهذه السرعةُ أعلى سرعةٍ في الكون، فالشيءُ إذا سار بسرعة الضوءِ أصبح ضوءاً، وأصبحت كتلتُه صفراً وحجمُه لا نهائياً، وعندئذ يتوقف الزمنُ، فإذا سار الجسمُ أسرع من الضوء تراجع الزمنُ فإذا قصَّر عن الضوء تراخى الزمن.

فالمسافة التي يقطعها القمرُ في مداره الخاص حول الأرض في ألف سنةٍ قمريةٍ تساوي المسافةَ التي يقطعها الضوءُ في يوم أرضي واحد.

وهذه هي النظرية النسبية التي يتيه الغرب بها.

2.14 معجزة الإسراء والمعراج

بسم اللـه الرحمن الرحيم

يا أيها الإخوة الأكارم... أحداث الإسراء والمعراج، من الزاوية العلمية، ممكنةٌ عقلاً وغير ممكنةٍ عادةً، والناس أحياناً يخلطون بين العادة، وبين العقل، فهؤلاء الذين ما عرفوا الله وما عرفوا قدرته، وما عرفوا معنى قوله تعالى:

﴿ كُنْ فَيَكُونُ﴾

[سورة الأنعام: آية ° 73]

وما عرفوا أن الزمان من خلقه، وقد يلغى، وأن المكان من خلقه، وقد يلغى، ما عرفوا هذه الحقيقة، أحياناً ينكرون أن يقع الإسراء، والمعراج، وبعضهم يقر بالإسراء، وينكر المعراج على كلٍ من الثابت في علم التوحيد، أنه، أنَّ كلَّ شيءٍ ممكنٌ عقلاً، لأن هذه الكون برمَّته بكل مجرَّاته، بكلِّ أفلاكه، بأرضه وسمائه، وجد من عدم، هل يستطيع عقلك فهم هذه القضية:

﴿ كُنْ فَيَكُونُ﴾

كان الله، ولم يكن معه شيء، فأيهما أعظم، أن يوجد هذا الكون كلُّه من عدم، أم أن ينتقل النبي عليه الصلاة والسلام، بقدرة الله، لا بقدرته، ما قال: سرى النبي:

﴿ أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾

[سورة الإسراء: آية ° 1]

فعل تعْدية، طفلٌ صغير، صغيرٌ صغير، أيعقل أن يصعد إلى قمة جبل هملايا؟ لا يعقل، لكن إذا حمل وأخذَّ إلى هناك، يعقل، فربنا عزَّ وجلَّ:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾

[سورة الإسراء: آية ° 1]

هو انتقل بقدرة الله، من مكة إلى بيت المقدس، وانتقل إلى السماء بقدرة الله، إذن قدرة الله لا يحدُّها شيء، تتعلق بكلِّ شيء، إذن الإسراء والمعراج، ممكنٌ عقلاً، ممتنعٌ عادةً، ما ألف الناس وقت النبي عليه الصلاة والسلام، أما الآن، الإنسان انتقل من الأرض إلى القمر، في ثلاثة أيام، وكانت سرعة مركبته، أربعين ألف كيلو متر في الساعة، إذن ما كان مستحيلاً وقد النبي، أصبح الآن على يدِّ البشر ممكن، إذن كلَّ شيءٍ ممكنٌ عقلاً، لكنه ليس ممكناً عادةً، هذه النقطة، قد تغيب عن أذهان بعض الناس.

لكن أريد أن أعقب تعقيباً يسيراً، هو أن الإنسان كلما نمى عقله، وكلَّما دقَّت مدركاته يرى أن الكون بوضعه الراهن، من دون خرقٍ لنواميسه، هو المعجزة، وقد ورد في الأثر:

((حسبكم الكون معجزة))

أن يولد الإنسان في رحم أمه، أن يتشكَّل مخلوقٌ له دماغٌ، وله خلايا، وله أعصاب وله أوعية، وله قلبٌ، وله تجاويف، وله دسَّامات، وله جهاز هضمي، وغدد صمَّاء، وجهاز تنفسي، وجهاز دوران، وجهاز طرح الفضلات، من نقطة ماءٍ، من دون جهدٍ من أمه، ولا تخطيطٍ من أبيه، إنَّ هذا الطفل وحده معجزة، من دون خرقٍ للمعجزات.

أيها الإخوة الأكارم... كلَّما ارتقت البشرية، جاءت المعجزات عقلية، وكلما انخفض مستواها، جاءت المعجزات حسيَّة، لذلك حينما كانت البشرية تحبوا، في حقول المعرفة، كانت المعجزات حسية، أما حينما ارتقت، جاء القرآن الذي هو المعجزة، للنبي عليه الصلاة والسلام هو المعجزة المستمرة، المعجزات الحسية، كعود الثقاب، تتألَّق ثم تنطفأ، وتصبح خبراً يصدِّق من يصدقه، ويكذِّبه من يكذبه، لكن معجزة القرآن، على مدار الأيام إلى نهاية الدوران وكلَّما تقدَّم العلم، كتشف عن جانبٍ من جوانب إعجازه، فنحن بين أيدينا معجزة، معجزةٌ عقلية، هذه ينبغي أن تؤكِّد لنا، أن هذا الدين حق، وأن النبي حق، وأن الكتاب حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وما علينا إلا أن نتحرك.

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾

(سورة القمر)

الباب الثالث: الشمس

3.1 شموس الكون

3.2 البعد عن الكواكب

3.3 الشمس والأرض

3.4 المسافة بيننا وبين الشمس

3.5 شمس الأرض

3.6 السنة الشمسية والسنة القمرية

3.1 شموس الكون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

سؤال ورد:

أيها الأخوة الكرام, سئل رئيس أكبر وكالة فضاء في العالم عن السديم, وعن كتله المتوهجة الحمراء والبيضاء والسوداء، أجاب هذا العالم الكبير، وهو أكبر علماء الأرض في علم الفلك، أن الشموس المشتعلة أنواع ثلاثة؛ شموس مشتعلة باللون الأحمر كشمسنا، وهي في منتصف عمرها هكذا قال بعض العلماء, مضى على اتقادها خمسون مليار سنة، وستبقى كما يقولون خمسين مليار سنة أخرى، فهي في منتصف عمرها, وهناك شموس يزداد حجمها زيادة كبيرة، بعد أن تمر بمرحلة الاحمرار إلى درجة أنها تنتفخ زيادة عن الحد المعقول، ثم تنكمش انكماشاً عظيماً فجأةً، بواقع واحد من مئة من حجمها الأصلي، وعندئذ تصبح بيضاء اللون، وتُشع نوراً أبيض، ولكنه أشد حرارة بكثير من اللون الأحمر,

وبعد ذلك تمر هذه الشمس في مرحلة أخرى هي مرحلة التكدس كما يتكدس المتر المكعب من الحديد بحجم ذرة، لا تُرى بالعين ولا بالمجهر.

قال: ومعنى ذلك أن كثافة هذه الشمس تصبح عالية جداً, ويصبح جذبها شديداً جداً لدرجة أن النور لا يسطع منها, ولا يخرج.

سماها العلماء الآن الثقوب السوداء, هذه لها قوة جذب مخيفة، لو أنها جذبت الأرض لأصبحت الأرض بحجم بيضة مع وزنها نفسه.

تصور الأرض بقاراتها الخمسة، والبحار التي تشكل أربع أخماس اليابسة، هذه الكتلة الضخمة كلها لو جذبها ثقب أسود لأصبحت بحجم البيضة.

ما علاقة هذا السؤال بحديث النبي, وعلام يدل؟

أيها الإخوة الكرام, يقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة، والحديث في الجامع الصغير، يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

((أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أحمي عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أحمي عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة كالليل المظلم))

هذه من دلائل نبوة النبي عليه الصلاة والسلام، كيف عرف أن النار أوقد عليها ألف عام حتى احمرت؟.

قال الإمام المناوي في فيض القدير في شرح هذا الحديث، ليس الألف عام رقماً يعني العدد، ولكنه زمناً طويلاً للتكثير والمبالغة, نص الحديث بالضبط:

((أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء كالليل المظلم))

3.2 البعد عن الكواكب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

إليكم هذا البعد الزمني بين الكواكب في المجموعة الشمسية:

من الحقائق المقطوع بها؛ أن في الكون مائة ألف مليون مجرة إلى الآن، هذا المنظور الحالي، مجرتنا درب التبانة إحدى هذه المجرات، وهي مجرة متوسطة، فيها مائة ألف بليون نجم وكوكب، طولها مائة ألف سنة ضوئية، عرضها خمس وعشرون ألف سنة ضوئية، القمر بعده عنا ثانية ضوئية واحدة, الشمس ثماني دقائق, المجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة، أما هذه المجرة درب التبانة طولها مائة ألف سنة ضوئية، عرضها خمس وعشرون ألف سنة ضوئية، الضوء ماذا يقطع في السنة؟ يقطع عشر مليون مليون كيلو متر، يعني ثلاثة عشر صفر.

الآن المجموعة الشمسية التي نحن فيها، طولها ثلاثة عشر ساعة ضوئية، لاحظ فلكي ألماني؛ أن المسافات مسافات الكواكب في المجموعة الشمسية تخضع بتتابع رياضي عجيب!

نشر ورقة كتب عليها صفر، ثلاثة، ستة، ضعف ثلاثة، اثنا عشر, أربع وعشرون، ثمانية وأربعون، ستة وتسعون، مائة واثنان وتسعون كل رقم ضعف الذي قبله، وأعطى عطارد أول رقم صفر، والزهرة ثلاثة، والأرض ستة، والمريخ اثنا عشر, وتوقف هنا، ثم أضاف رقم أربعة إلى كل هذه الأرقام، ثم قسمها على عشرة، فإذا الناتج هو بعد كل كوكب عن الشمس، هذا القانون ظهر في القرن التاسع عشر, وقام حوله ضجة كبيرة, وعليه مأخذان، رقم أربع وعشرون غير موجود، لا يوجد نجم بهذا المكان، ورقم مائة واثنان وتسعون ليس هناك نجم بهذا المكان، واتهم هذا القانون بأنه غير صحيح، ثم اكتُشف في الرقم أربع وعشرين هناك مجموعة كويكبات، وفي موقع مائة واثنين وتسعين هناك كوكب أورانوس، فهذه المجموعة الشمسية تخضع لقانون دقيق جداً، يعني كل نجم رتبه بسلسلة هندسية أو حسابية، وأضاف رقم أربعة، وقسم على اثني عشر، الناتج بعد كل كوكب عن الشمس، كان يوجد فراغان الأربع وعشرين، والمائة واثنين وتسعين، ثم اكتشف الكويكبات في المكان الأول، وأورانوس في المكان الآخر.

الخاتمة:

أيها الأخوة, هذا الكون الذي تبدو فيه عظمة الله عز وجل، هذا الكون الذي هو تجسيد لأسماء الله الحسنى، هذا الكون الذي هو مظهر لعظمة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

[سورة يونس الآية: 101]

وحذرنا من أن نمر على هذه الآيات, ونحن عنها غافلون.

3.3 الشمس والأرض

بسم اللـه الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله الله ولي الصالحين، شهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، حب الخلق العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد:

عن أبو الدرداء رضي الله عنه قال:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ' ألا أُخْبِرُكم بخيرِ أعمالِكم، وأرفَعِها في درجاتكم، وأزكاها عند مليكِكم، وخير لكم من الوَرِق والذهب، وخير لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقَكم؟ قالوا: بلى، قال: ذِكْرُ الله '

[أخرجه مالك والترمذي]

شأن الذكر:

يبدو من خلال هذا الحديث الشريف، أن الذكر له شأن كبير في حياة المؤمن، كيف لا وقد ورد الذكر في القرآن الكريم في أكثر من ثلاثمائة آية تؤكد هذه الآيات في مجموعها أن الذكر ينبغي أن يدور مع الإنسان في كل شؤونه وأحواله وأطواره ؛ لأنه عبادة القلب، والكفر واللسان فمن الذكر ؛ أن تذكر الله في آياته الكونية، وفي آياته القرآنية، وفي آياته التكوينية وأن تذكره من خلال نعمه الظاهرة، والباطنة، وأن تذكره في أمره ونهيه، وأن تذكره لعباده معرفاً به، وأن تذكره في قلبك وعلى لسانك مُسبحاً وحامداً وموحداً ومكبراً، وأن تذكر ربوبيته لك فتدعوه وحده،

في أحوالك كلها، وأطوارك جميعها، وأن تذكره ذكراً كثيراً ؛ ليطمئن قلبك ولينجلي همك، ولينشرح صدرك، وليتسع رزقك ولتنصر على عدوك.

التفكر في آيات الله:

فمن الذكر التفكر في آيات الله في الآفاق، وفي الأنفس، وهذا التفكُّر من أجل أن نعرف الله جل وعلا، وأن نقدره حق قدره، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران]

من آيات الله في الآفاق التجاذب الحركي:

فمن هذه الآيات التي بثها الله في الآفاق، التجاذب الحركي فيما بين الكواكب والنجوم، قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾

[سورة الرعد الآية 2]

فكلمة تَرَوْنَهَا تفيد . فيما تفيد . أن الله جل وعلا رفع السماوات بعمد لا نراها إنها قوى التجاذب التي تنظم الكون كله، بدءاً من الذرة، وانتهاءً بالمجرة.

الشمس والأرض:

فالشمس مثلاً تجذب إليها الأرض بقوة هائلة، بحيث تجري الأرض في مسار مُغلق حول الشمس، ولو أنعدم جذب الشمس للأرض، لخرجت الأرض عن مسارها حول الشمس ولاندفعت في متاهات الفضاء الكوني، حيث الظلمة والتجمد، وبزوالها عن مسارها (أي بغنحرافها عنه) تزول الحياة فيها، إذ تصل درجة حرارتها إلى مئتين وسبعين درجة تحت الصفر. وهي درجة الصفر المطلق، التي تنعدم فيه حركة الذرات. قال تعالى:

﴿ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر الآية 41]

ولكي ندرك قوة جذب الشمس للأرض، نفترض أن هذه القوة انعدمت لسبب أو لآخر، ومن أجل أن تبقى الأرض مرتبطة بالشمس، تجري في مسار حولها، لابد من أن نربطها إلى الشمس بأعمدة مرئية من الفولاذ، والفولاذ من أمتن المعادن، ومن أعظمها تحملاً لقوى الشد فالسلك الفولاذي الذي قطره ميلمتر واحد، يتحمل من قوى الشد ما يعادل مئة كيلو غرام، إننا بحاجة إلى مليون مليون حبل فولاذي، طول كل حبل مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر، وقطر الحبل الواحد خمسة أمتار والبل الواحد ن هذه الحبال يتحمل من قوى الشد ما يزيد عن مليوني طن، فكم هي قوة جذب الشمس للأرض؟.. إنها مليونا طن مضروبة بمليون مليون ثم إذا زرعنا هذه الحبال على سطح الأرض المقابل للشمس، لفوجئنا أننا أمام غابة من الحبال الفولاذية، بحيث تقلُّ المسافة بين الحبلين عن قطر حبل ثالث، هذه الغابة تحجب عنا أشعة الشمس، وتُعيق كل حركة وبناء ونشاط. كل هذه القوى الهائلة من أجل أن تحرف الأرض في مسارها حول الشمس ثلاثة ميلمتارت كل ثانية. لقد صدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾

[سورة الرعد الآية 2]

﴿ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾

[سورة فاطر الآية 41]

من آيات الله في الأنفس:

هذه آية من آيات الآفاق، فماذا عن آيات النفس؟.. قال تعالى:

﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

[سورة الذاريات]

لو أن رجلاً كان يتنزه في بستان، ولمح فجأة كائناً مؤذياً قاتلاً، فما الذي يحدث في جسمه؟!..

ينطبع خيال هذا الكائن على شبكية العين، إحساساً، وينتقل هذا الإحساس الضوئي إلى المُخِّ، فيصبح إدراكاً للخطر، وعندها يأمر المخ . وهو ملك الجهاز العصبي . الغدة النخامية . وهي ملكة الجهاز الهرموني . بأن تواجه هذا الخطر.. هذه الملكة تصدر أوامر لغدة الكظر لكي تعطي الجسم الجاهزية القصوى لمواجهة الخطر، والكظر بدوره يعطي أمراً هرمونياً إلى القلب، ليُسرِّع نبضاته، (فالخائف تزداد ضربات قلبه) والكظر يعطي أمراً هرمونياً ثانياً للرئتين، ليتوافق وجيبها مع ازدياد نبضات القلب (فالخائف يزداد وجيب رئتيه فيلهث) والكظر يعطي أمراً ثالثاً للأوعية الدموية فتضيق لمعتها، ليتحول الدم إلى العضلات (فالخائف يصفرُّ لونه) والكظر يعطي أمراً هرمونياً رابعاً للكبد، ليطرح في الدم كمية من السكر إضافية، والسكر مادة الوقود في العضلات، والكظر يعطي أمراً هرمونياً خامساً للكبد ليزيد من هرمون التجلط منعاً من نزيف الدم، كل هذا في ثوان معدودة؟!.

﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾

[سورة لقمان الآية 11]

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم:

((مَثل الذي يذكر ربَّه، والذي لا يذكر ربه: مَثلُ الحيِّ والميت))

3.4 المسافة بيننا وبين الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين, أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

أيهما أكبر الشمس أم الأرض, وكم عمرها, وماهو النجم الذي يتسع للشمس والأرض؟

أيها الأخوة المؤمنون, يقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة يونس الآية: 101]

قال العلماء: إن الشمس تكبر الأرض بمليونٍ وثلاثمئة ألف مرة، وأن لسان اللهب الذي يخرج من الشمس يزيد طوله عن مليون كيلو متر، وأن الأرض إذا ألقيت في الشمس تبخَّرت في ثانيةٍ واحدة. يقدر بعض العلماء أن عمر الشمس يزيد عن خمسة آلاف مليون سنة، وأن بين الشمس والأرض مئةً وستةً وخمسين مليون كيلو متر, وأن في برج العقرب نجماً متألّقاً يرى من الأرض، اسمه قلب العقرب، هذا النجم المتألّق الذي يقع في الوسط الهندسي لبرج العقرب، وهو أشدُّ تألُّقاً، إن هذا النجم يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما.

كم هي المسافة الزمنية بين مواقع النجوم؟

قال تعالى:

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾

[سورة الواقعة الآية: 75-76]

أيها الأخوة, بيننا وبين القمر ثانيةٌ ضوئيةٌ واحدة، يقع القمر على بعد ثانيةٍ ضوئية، يعني ثلاثمئة وستين ألف كيلو متر, يقطعها الضوء في ثانيةٍ واحدة، وبيننا وبين الشمس ثماني دقائق ضوئية، يعني ضوء الشمس يقطع المسافة بين الشمس والأرض في ثماني دقائق، وبيننا وبين أبعد نجمٍ في المجموعة الشمسية، ثلاث عشرة ساعةً ضوئية، وأن أقرب نجمٍ إلى الأرض من غير المجموعة الشمسية، وهو نجم القطب، بعده عنا أربعة آلاف سنةٍ ضوئية.

قالوا: إننا نتحدى السماء بهذه المركبة إسشلنجر, اسمه المتحدي, فقبل الله التحدي، وجعلها كتلةً من اللهب في سبعين ثانية، وبين الأرض وبين أقصى نجمٍ في درب التبان، مئة وخمسين ألف سنةٍ ضوئية، وأن بعض المجرات تَبعد عنا ثمانية عشر ألف مليون سنة ضوئية.

إليكم مواضع هذه الآيات للتفكير:

أيها الأخوة, كان عليه الصلاة والسلام، كلما نهض من فراشه ليلاً، كان يتلو قوله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[سورة آل عمران الآية: 190-191]

أيها الأخوة المؤمنون, تفكُّر ساعة خيرٌ من عباده ستين عام، قال تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾

[سورة الزمر الآية: 67]

أيها الأخوة المؤمنون, التفكر فريضةٌ بعد الفريضة,

قال تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً﴾

[سورة عبس الآية: 24-25]

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾

[سورة الطارق الآية: 5-7]

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾

[سورة التين الآية: 4-5]